العمل التطوعي الفلسطيني

Palestinian Voluntary Work

ذاكرة وطن تأبى النسيان

A Memory of A Homeland That Won't Be Forgotten

العمل التطوعي الفلسطيني

ذاكرة وطن تأبى النسيان

ROSA LUXEMBURG STIFTUNG
REGIONAL OFFICE PALESTINE

لجنة العمل التطوعي الفلسطيني
Palestinian Voluntary Work Committee
PVWC

هيئة العمل التطوعي الفلسطيني
فلسطين - رام الله / ص.ب. 841 رام الله
جوال: 31 40 91 598 (0) 00970
فاكس:36 01 298 2 (0) 00970 (0)
Web site: www.pal-pvwc.net

مبادرة توثيق تجربة العمل التطوعي في فلسطين
خلال فترة السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي

العمل التطوعي الفلسطيني
ذاكرة وطن تأبى النسيان

إنتاج: هيئة العمل التطوعي الفلسطيني

بدعم من: مؤسسة روزا لوكسبورغ

إعداد وصياغة: جبريل جحشان، حسين يحيى

تدقيق وتنقيح لغوي: محمد ح. يحيى

ترجمة: صابرين نصّار

مضمون الكتاب لا يعبر بالضرورة عن موقف مؤسسة روزا لوكسبورغ
أو وجهة نظرها ، وليس بالضررورة أن تعبر أياً من الآراء الواردة في
المقابلات الشفهية عن توجهات هيئة العمل التطوعي الفلسطيني

إهداء

نهدي هذا العمل المتواضع إلى كل مواطن شريف منتم لقضيته المقدسة وراغب في فلسطين حُرة تنعم بالحرية والسلامً والرخاء والعدالة الاجتماعية ... نهدي هذا الإنجاز المتواضع إلى رموز ورواد العمل التطوعي الفلسطيني ممن ضحوا في سبيل قضيتنا المقدسة وشعبنا الكريم ... نهدي هذه التجربة المميزة إلى كل إنسانٍ حُر وغيور على القيم الإنسانية النبيلة والوطنية الشريفة ...

شكر والتقدير

في هذا المقام الكريم يسرنا ويسعدنا أن نتوجه بجزيل الشكر والعرفان للسادة مؤسسة روزا لوكسبورغ لتبنيهم طباعة هذ الكتاب الذي طال إنتظار إصداره لولا سعة إدراكهم لمضمون الكتاب ورؤيتهم المبصرة الثاقبة لأهميته وقيمته في خدمة قضية العمل التطوعي بفلسطين.

وتقديرنا وشكرنا موصول للسادة مركز إعلام حقوق الإنسان والديمقراطية (شمس) لتعاونهم الكريم ومساندتهم المطلقة لنا في تصوير المقابلات التي تم إجراؤها مع رواد العمل التطوعي الفلسطيني الذين لم يبخلوا علينا بالحديث عن تجاربهم لتوثيقها في هذا الكتاب.

ولا يفوتنا هنا أن نثني على دور الدكتور هاني سالم لما قدمه من نصح وإرشاد وتوجيهات ساهمت في إخراج المبادرة لترى النور من بعد النقد البناء الذي أغنى مضمونها.

وأمام هذا الجهد العظيم وتلك العزيمة الصادقة التي لا تلين ... أمام كل هذا لا يسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر والعرفان لكل من ساهم في إنجاح هذا العمل من متطوعي الهيئة وأعضائها الكرام: حنين يحيى، رامي أبو قويدر، رنا بكير، رياض قلالوة، زينة أبو غوش، صابرين نصار، ضياء الزبن، عماد القاضي، لمى يحيى، محمد مصلح، محمود مصلح وهيثم شلبي لجهودهم الحثيثة التي بذلوها في التنسيق لإجراء المقابلات الشفهية وتنظيمها وتفريغها وطباعتها وتدقيقها، وحرصهم العميق وإصرارهم القوي على النهوض والإرتقاء بمسيرة عمل هيئة العمل التطوعي الفلسطيني.

قائمة المحتويات

1- كلمة مزجاة 8

2- مقدمة 12

3- خلفية نظرية وتاريخية " مفهوم العمل التطوعي " 14

4- التطوع جزء أصيل من مكونات الثقافة الشعبية الفلسطينية .. 17

5- التطوع كوسيلة تأطير جماهيري 20

6- دور المرأة في العمل التطوعي 24

7- الموقف المجتمعي من العمل التطوعي 27

8- العمل التطوعي وتصديه لمشروع روابط القرى 29

9- العمل التطوعي والإنتفاضة 31

10- العمل التطوعي والعمل الأهلي 34

11- ملخص المقابلات الشفهية 35

11-1. إبراهيم اللدعة 37

11-2. أسامة البسط 40

11-3. بسام الصالحي 43

11-4. تيسير العاروري 48

11-5. جمال جمعة 52

11-6. جميل الدويك 57

11-7. خالد منصور 61

11-8. خالدة جرار 64

11-9. ربيحة ذياب 67

11-10. زكريا النحاس 70

11-11. سليم البسط 75

11-12. سهام البرغوثي 78

11-13. سونيا نمر 82
11-14. عادل يحيى 92
11-15. عبد الجواد صالح 100
11-16. غسان جرار 103
11-17. كامل جبيل 106
11-18. محرم البرغوثي 111
11-19. محمد وائل إسليم 114
11-20. منير فاشة 114
12- الخاتمة 115

1- كلمة مُزجاه

على مر العصور الموغلة بالقدم، تميزت فلسطين بالخصوصية الحياتية التي عاشتها وعايشها أهلها، نظراً لتكالب قوى الشر والأطماع الإستعمارية التي جعلت من أرض كنعان ضالتها المنشودة بهدف إشباع رغباتها الإحلالية، فبدأ التنافس الإستعماري ما بين تلك القوى، وتتابعت الحروب للإستيلاء على مهد الحضارات، فصاحبتها الأزمات والنكبات، وتوالت المصائب تلو الأخرى على الشعب الفلسطيني الذي أبى إلا أن يعيش كينونته الخاصة كمجتمع بشري محافظاً على هويته الوطنية في إطار قضيته الإنسانية.

توالت السنون على الشعب الفلسطيني ضيقاً وإحَنْ، مما أوجب عليه الحفاظ على وجوده الإنساني وبقائه النوعي على هذه الأرض، ولكي تتحقق الغاية شرعت جميع مكونات المجتمع في تأدية الواجب الإنساني المناط بها، حيث إنساقت بدوافع نفسية إلى إشباع غرائزها الإنسانية المتمثلة في إحياء قيم التضامن الإنساني والتكافل الإجتماعي التي تضمن ذلك الوجود النوعي، فأصبح العمل التطوعي العفوي-الذي أخذ شكل الفزعة والعونة حاضراً في مختلف المناسبات الإجتماعية كمواسم الزراعة والحصاد-أحد الركائز الأساسية في المعاملات الإجتماعية، وأمسى مع مرور الزمن جزءاً اصيلاً من العادات والتقاليد والتي شكلت بمجموعها منظومة الموروث الحضاري والثقافي للشعب الفلسطيني.

مع إستمرار الحركات الإستعمارية في سباقها المحموم على إحتلال فلسطين أرضاً وشعباً، مروراً بالإحتلال العثماني وصولاً إلى الإنتداب البريطاني الذي تمخض فولد الإحتلال الصهيوني الإحلالي الذي لم يزل جاثماً على صدورنا كالصخرة الصماء ... مع إستمرار هذا الوجود الإحلالي كان لزاماً على شعبنا الفلسطيني (أفراداً وجماعات) أن يطور أشكال النضال والمقاومة في سبيل تمكينه من البقاء والصمود على أرضه المغتصبة، فكان العمل التطوعي أفضل وسيلة لزيادة الوعي الإدراكي بضرورة رصد وتلبية مختلف الإحتياجات الحياتية للمجتمع المدني. وحيث أثبت العمل التطوعي بأنه أداة مهمة لرفع الوعي الشبابي بأهم القضايا الوطنية التي تعنيه، فقد تنامى الفكر الطلابي التقدمي وازداد الحس الوطني، وارتقت نظرتهم المُبصرة الثاقبة للعمل التطوعي بإعتباره شكلاً من أشكال المقاومة والتصدي لإعتداءات الإحتلال الإسرائيلي.

إرتقت الحركة الطلابية بفكرة العمل التطوعي الوطني من مرحلة النشوء إلى درجة النهوض، فتعمقت الفكرة وتجسدت في أبهى صورها الوطنية من خلال العمل الجماعي على حماية الأراضي الفلسطينية من المصادرة وتعزيز صمود أهلها في وجه الإعتداءات الإسرائيلية المتكررة. ونظراً لتعمد الإحتلال الإسرائيلي إلحاق أقصى العقوبات بحق الشعب الفلسطيني أو تضييق الخناق عليه في مختلف المجالات الحياتية التي تخصه، فقد شعرت الحركة الوطنية بالخطر المحدق بالجماهير، فتلمست الإحتياجات وتنبهت لضرورة إضافة التخصصية إلى العمل الوطني القائمة عليه وتوسيع مجالاته وتنظيم إتجاهاته، فتشكلت لجان العمل التطوعي المتخصصة في مختلف المجالات التعليمية والصحية والبيئية والزراعية، حيث برزت لجان التعليم الشعبي واللجان الطبية والزراعية إلى جانب النقابات المهنية والعمالية ومنظمات حقوق الإنسان، والتي كانت بمجملها واجهة العمل السري للتنظيمات الفلسطينية.

« هاي مكانس مش مدافع ليش خايف يا احتلال » كلمات لأغنية شعبية كانت ترددها الجماهير خلف الشاعر الشعبي راجح السلفيتي، وذلك أثناء قمع الإحتلال الإسرائيلي لجموع المتطوعين الذين كانوا يلبون نداء الوطن والإنسانية، جُن جنون الإحتلال في ذلك الوقت عندما رأى جيش المتطوعين بهذا الإلتحام وذلك التنظيم، فعمد إلى قمع أي تظاهرة تشاركية بإستخدام القوة المفرطة، وزادت شراسته وتوحشت حينما أدرك بأن الشعب الفلسطيني بدأ يطور أشكال نضاله من خلال إتباعه لنهج حياتي شامل إحدى دعائمه الأساسية العمل التطوعي الذي تم إستثماره لسد جوانب النقص والإهمال الخدماتي المقصود من طرف إدارة الإحتلال تجاه الجمهور الفلسطيني.

الآن وفي ظل المتغيرات السياسية والإقتصادية الإجتماعية التي طرأت، وما تبعها من تحولات عميقة وعقيمة على مستوى الفكر والواقع التشاركي، فإن المتابع لمساهمة الشباب على وجه الخصوص في العمل التطوعي سيلاحظ محدودية المشاركة فيه، حيث يرجع ذلك إلى العديد من العوامل التي من ضمنها الإعتقاد الخاطئ لدى السواد الأعظم بأن السلطة الوطنية الفلسطينية هي وحدها من تتحمل مسؤولية الإلتزام بتلبية الإحتياجات المختلفة للمجتمع الفلسطيني، بالإضافة إلى إنعدام الثقة الشعبية في سياسة عمل التنظيمات الفلسطينية والتي كانت حتى وقت متأخر تلعب دوراً رئيسي في تشكيل اللجان التطوعية، وإختفاء

دور المؤسسات المجتمعية والوطنية في وضع خطة إستراتيجية شاملة لكيفية النهوض بثقافة العمل التطوعي وإعادة الإعتبار لقيمه التي يسعى إلى ترسيخها لدى المجتمعات البشرية، ومن ناحية أخرى تراجع قيم التعاون والتضامن التي شهدتها المنظومة الأخلاقية للمجتمع الفلسطيني في ظل الإنحياز للأنا العليا والتطرف للذات الفردية والتي سعى النظام الرأسمالي العالمي لترسيخها لدى المجتمعات البشرية التشاركية.

بعيداً عن المثالية الكلاسيكية، فإن الواقع الذي تشهده مسيرة العمل التطوعي الفلسطينية حقيقةً في تراجع وإنحدار على المستوى القيمي والأخلاقي، وأمام هذا الواقع فإن الواجب يحتم علينا أن نحمي هذا الإرث الإنساني والحضاري، وأن نحافظ على هذه الثقافة الوطنية من الاندثار من خلال توثيقها بهذا الكتاب الذي أتى بعنوان « العمل التطوعي الفلسطيني ذاكرة وطن تأبى النسيان » ليشكل مصدراً ومرجعاً مهماً للباحثين في إستقصاء المعلومة التي تفيدهم في تحقيق أهداف دراساتهم وأبحاثهم المتخصصة في هذا الحقل، وليكون مضمون الكتاب من التجارب الحية منارةً ونبراساً ملهماً للأجيال القادمة من حيث قصص النجاح، واستذكاراً لأصالة وعراقة رواد العمل التطوعي الذين كان لهم الأثر الأكبر في الحفاظ على هذه الذاكرة الوطنية وحراستها.

نؤكد بأن الأغلبية من أصحاب هذه التجربة الوطنية ضحوا بالكثير وتحملوا أكثر: فمنهم من نفي خارج الوطن لأعوام طويلة فتجرعوا مرارة الغربة وذاقوا شتى أشكال القهر، منهم من أُعتقل في سجون الإحتلال الصهيوني فأمضوا في غرف التحقيق الإبتزازية وزنازين التعذيب الوحشية أكثر مما أمضوا خارجه، أما الآخرون فقد تعرضوا لأبشع أشكال التنكيل والقمع والإضطهاد من قطعان مستوطني الإحتلال الغاشم ... وجميعهم بكل الأحوال تحملوا مشقة وألم تنفيذ الأعمال التي لبت مختلف إحتياجات الأرض والإنسان خلال تلك الفترة ... كل ذلك الصمود كان يغذيه شعور بمسئولية الواجب تجاه أرضنا وشعبنا الفلسطيني المتعطش للحرية والسلام اللتان نتوق لهما جميعاً ... كل تلك التضحيات الجسام تتطلب منا أن نتحمل مسؤولياتنا في صون المسيرة التطوعية الوطنية التي بدأها أولئك القادة العظام، والالتزام بالطريق الوطني الذي رسموا وشقوا ومهدوا لنا معالمه.

يا من تطوعتم بهدر وقتكم الثمين لتوثيق تجربتكم الوطنية الصادقة لكم منا كل الاحترام والتقدير لكل ما بذلتموه وقدمتموه في سبيل المحافظة على الهوية الوطنية والذاكرة الفلسطينية ذاكرة حية و نقية ... أما أنتم رواد العمل التطوعي الفلسطيني يا من لم يتسنَ لنا توثيق تجربتكم في هذه الطبعة نتمنى على الله عزوجل أن يمد في أعماركم لنوثق تجربتكم الصادقة ونتعلم منها، ونكتسب من قيمكم الإنسانية النبيلة، ونقتبس من مبادئكم الوطنية الشريفة، لعلنا نقدم لقضيتنا المقدسة إنجازاً وطنياً ثميناً وعظيماً نعتز به ونفتخر، وما هذا إلا جهد المُقِل .

بكل تواضع أهدي هذا الجُهد البسيط مع تحية معطرة بالشوق والحنين إلى الروح الطاهرة بصدق نواياها، إلى القلب النقي الذي إنتقاه الجليل إلى جواره الكريم ... إلى من أفتقدها في حياتي ... إلى والدتي المرحومة بإذن الله تعالى المعلمة الفاضلة « زينب بكير » و والدي الكريم حفظه الله المعلم الفاضل « محمد يحيى » اللذان أنحني لهما تقديساً وإجلالاً للفتهم نظري لضرورة السعي لمأسسة مسيرة العمل التطوعي وضمان إستمراريتها في فلسطين ضمن إطار التشاركية الفردية والجمعية بعيداً عن البيروقراطية المقيته والفئوية والحزبية الضيقة. ولزوم توثيق هذه التجربة الرائدة والمحافظة عليها من الإندثار أو الضياع، وإستثمارها الإستثمار الأمثل في إستخلاص العبر من تجارب الماضي، لإتخاذها نقطة إنطلاق في استشراف آفاق المستقبل لتحقيق معاني النهضة الإجتماعية والتنمية الوطنية لدى المجتمع الفلسطيني بمختلف مكوناته الإجتماعية.

وفي الختام، قبل الإبحار في خضم هذه التجربة الوطنية المميزة ... نقتبس من رائعة الشاعر الفلسطيني الراحل «محمود درويش»: على هذه الأرض ما يستحق الحياة ... ومن طرفنا نَصْدُق بالقول الصادق لنؤكد على أن ما تمتلكه هذه الأرض المقدسة يستحق منا الإتحاد طريقنا لتطهير ترابنا الفلسطيني من دنس الإحتلال البغيض... إن ما تختزنه هذه الأرض الأسطورية من ملاحم بطولية تستحق منا بذل الغالي والنفيس في سبيلها ومن أجلها ... إن هذا التراب المعطر بدماء الشهداء وتضحيات الأسرى يستحق منا التضحية بكل ما نملك في سبيل تحقيق الغاية السامية من وجودنا على هذه الأرض العبقة بشذا العز والكرامة.

حسين محمد يحيى

هيئة العمل التطوعي الفلسطيني

2- مقدمة

للعمل التطوعي في فلسطين جذوره الشعبية النابعة من إنخراط الناس في عملية الإنتاج الفلاحي في قرى صغيرة تربطها ليس وشائج المكان فقط بل علاقات القربى، ذات طبيعة غير مدنية، فإن هذا العمل قد اكتسب صبغة مدنية مع تطور الواقع الإجتماعي الإقتصادي في فلسطين، وبات يشكل أحد أهم عوامل البقاء والصمود للشعب الفلسطيني في مواجهته لمشروع إقتلاعي إحلالي يستهدف وجوده على الأرض، فالعمل التطوعي لم ينشأ في فلسطين كعمل ممنهج، بل جاء في نشأته عفوياً منسجماً مع الحاجات الإجتماعية للناس، وبالتالي فقد جاء هذا العمل أصيلاً وطبيعياً، ومنتجاً اجتماعياً نابعاً من القاعدة (الناس)، وبهذا إستحق الدراسة والتمحيص للإستفادة من هذه الخبرة الشعبية الفلسطينية العميقة في مواجهة التحديات الوجودية الحالية، والتي هي إستمرار للتحديات السابقة بحكم إستمرارية المشروع الصهيوني الذي يشكل تحدياً للعرب جميعاً وليس للشعب الفلسطيني وحده.

في هذا الكتاب سنتعرض لعملية تأريخ شفهي للعمل التطوعي الفلسطيني في مرحلته المتقدمة وبعد الإحتلال الإسرائيلي للضفة والقطاع، وهذا يشكل مساهمة في دراسة هذا التقليد الوطني، لكنه لا يغني عن دراسة انثروبولوجية موسعة عن آليات وأشكال العمل التطوعي في فلسطين منذ نهايات الحكم العثماني وحتى حدوث النكبة الكبرى للشعب الفلسطيني.

المادة الأساسية لهذا الكتاب هي عبارة عن شهادات رواد العمل التطوعي الفلسطيني عمّا هو عمل جماهيري شعبي واسع الإنتشار، لم ينبع من مؤسسات بيروقراطية لها بُناها وأطرها الممأسسة، بقدر ما هو نابع من إرادة المبادرين بتأسيس تجربة لها أشكالها التنظيمية المختلفة والتي وضعت مقاومة سياسة الإحتلال الإسرائيلي في بؤرة نشاطها، وبناء حالة جماهيرية وطنية تدعم الكيان المستقل للشعب الفلسطيني.

هذه الشهادات تشكل مصدراً اولياً حول العمل التطوعي الفلسطيني، وهي ضرورية ضمن عملية التأريخ للنشاط الشعبي الذي عادة ما يغفله أو يقلل من دوره من يرى في التاريخ عملية تقتصر على البحث في النُخب ودورها في صناعته.

إننا هنا نقدم مادة تاريخية صنعتها أيدي جماعية، لم تنشد من وراء عملها مجداً شخصياً أو مكسباً مادياً، بقدر ما حركها وعيها الوطني نحو تحمل جزء من المسؤولية في صياغة المشروع الوطني من خلال الممارسة العملية والعمل مع الجماهير.

ولهذا فاننا لن نغمض هؤلاء الرواد حقهم في تبيان دورهم كأشخاص ومجموعات، ولكننا سنلجأ إلى تقديم الوقائع التاريخية الملموسة اكثر من تعريجنا على تحليلاتهم أو تقديم وجهات نظر عن الماضي، وهذا الأمر لا يهدف إلى إنكار وجهات نظرهم بقدر ما يهدف إلى تسليط الضوء على إنجازاتهم العملية، والتي تشكل جهداً ملموساً وعظيماً له أثره في الأجيال الجديدة أكثر من كل النظريات والأطر التدريبية المختلفة، التي اكتفت بتقديم النماذج وركزت على النظري أكثر من العملي، والنخبوي أكثر من الجماهيري.

لا ندعي كمالاً في ما نقدمه، ولكننا نُطلق دعوة لمزيد من الدراسات حول هذه التجربة، وفي ذهننا أن ما نقدمه هنا هو البداية والمشعل الهادي الذي يفتح الآفاق على تقييم التجربة السابقة والاستفادة من دروسها، بما يخدم تنوير الأجيال الجديدة ودفعها بإتجاه المبادرة الذاتية، وتقديم تجربتها الخاصة المتميزة والمستندة إلى هذا الإرث الشعبي الوطني.

3-خلفية نظرية و تاريخية

«مفهوم العمل التطوعي»

إذا كان جوهر تعريف العمل التطوعي كمفهوم إجتماعي يتمحور حول بذل الجهد طوعاً دون إكراه أو إجبار من جهة، ودون مقابل مادي معبراً عنه بأجر من جهة أخرى، فإن ذلك لا يمنع من التطرق إلى الهدف الذي يبذل منه هذا الجهد ما دام ليس مادياً وبغية الكسب، هنا يكمن الإختلاف بين العمل التطوعي والسخرة من جانب، وبين العمل التطوعي الفردي والعمل التطوعي الشعبي من جانب آخر.

فالسخرة، حيث يتوفر عنصر الإكراه والقسر تنفي التطوع، بقدر ما تفيد الإستغلال الفاحش القائم على السطوة بمختلف تجلياتها، سياسية كانت أم عسكرية أم إجتماعية أم ثقافية، فهي ضد إرادة الإنسان الحر في إختيار الفعل الإجتماعي بما هو فعل ذاتي نابع من الحاجة أو الرغبة أو كليهما معاً، وفيما التطوع يمكن أن يكون دائما بفعل كونه اختيار، تزول السخرة بزوال الباعث لها وهي قوة الإكراه والقسر، ويصبح الفعل الإجتماعي هنا حراً وهادفاً، بمعنى أن الجهد المبذول في العمل التطوعي يصبح متضمناً قيماً غير القيم المادية، قيم تتعلق بالتضحية والإيثار، بالإنتماء لقضية وفكرة، وبالتالي فهو يحمل من النُبل والروح الإيجابية ما يحمله تقريباً من يستعد للشهادة في سبيل قضية محددة، حيث المضمون واحد فيما الأشكال المعبرة عنها مختلفة.

والعمل التطوعي إذا ما كان فردياً على صعيد الخَيار والتنفيذ، يبقى نخبوياً وأسير توجه قيمي خاص ربما يتقاطع مع القيم العامة، لكنه في النهاية لا يحدث نفس الأثر الإجتماعي الذي يُحدثه التطوع الجماعي الموجه لخدمة هدف عام، هنا يسهم العمل التطوعي لا بالتغيير المادي فحسب، بل بالتغيير الإجتماعي وتطوير المواقف والقيم الإيجابية، ويفتح الأذهان والعيون على قدرة البشر على التغيير وإحداث النقلة المرجوة في حياتهم.

يجتهد برنامج متطوعي الأمم المتحدة أن يقدم تعريفاً للعمل التطوعي، بإعتباره: « جهداً إنسانياً، يُبذل من أفراد المجتمع بصورة فردية أو جماعية، ويقوم بصفة أساسية على الرغبة والدافع الذاتي سواءً كان هذا الدافع شعورياً أو لا شعوري, ولا يهدف المتطوع منه تحقيق مقابل

مادي أو ربح خاص، بل إكتساب شعور الإنتماء إلى المجتمع وتحمل بعض المسؤوليات التي تسهم في تلبية إحتياجات إجتماعية مُلحة أو خدمة قضية من القضايا التي يعاني منها المجتمع» تقرير حالة التطوع في العالم، والذي أصدره برنامج الأمم المتحدة للمتطوعين في عام 2011

ربما يفيد هذا التعريف مجتمعات تعيش حياتها الطبيعية من حيث الصراعات والتوافقات الداخلية، أي أنه تعريف لا نَدّعي أنه قاصر ولكنه عام، هذه العمومية تجعله في حاجة إلى التخصيص في مجتمع يرزح تحت إحتلال إقتلاعي، بحيث يصبح كل فعل إجتماعي يقاس في جدواه بمقدار ما يقرب أو يبعد عملية التحرر الوطني من تحقيق أهدافها في الخلاص، وبمقدار ما يخلق هذا الفعل من أثر إجتماعي يساعد على ذلك.

هنا لا بد أن نخلص إلى تحديد واضح لمفهوم وأهمية العمل التطوعي في ظرف تاريخي خاص كالظرف الذي يعيشه الشعب الفلسطيني. وهو ظرف إحتلال عسكري إقتلاعي إحلالي يستهدف كل مقومات الكيانية الفلسطينية وجودياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وفوق كل ذلك سياسياً، بمعنى أن كل فرد في المجتمع هو هدف للسياسة الاحتلالية بما يتذكره ويعيشه ويطمح إليه، وبالتالي فان كل فرد يتعرض إلى نسبة ما من القمع الاحتلالي، الذي يستوجب نوعاً معيناً من المقاومة دفاعاً عن الذات المهددة، سواءً كانت هذه الذات فردية أو جمعية.

في مقابلة أجريت مع زكريا النحاس حول مضمون العمل التطوعي، قال: « الناس بتطوع بدون مقابل في أي شكل من الأشكال، فهون النقطة الأولى إنوا العمل التطوعي أعتبر في ذلك الحين شكل من أشكال المقاومة، يتضمن الرفض للإحتلال والتعبير عن الصمود فوق أرض الوطن. فكانت الفكرة التي تتداول بين المجموعات (المتطوعين) إنوا هلأ بدنا نعطي فكرة تانية من المقاومة والصمود في أرض الوطن، وإنوا هلأ في هناك أمل، وإنوا اللي صار هوي عابر وسيتم تجاوزه في يوم ما، فهون بركز على إنو فكرة العمل التطوعي كانت مربوطة بإشي أوسع وأكبر، اللي هي الصمود فوق أرض الوطن وعدم القبول بالهزيمة»

ورغم أن التعريف العام يمكن البناء عليه، إلاّ أنه يجب تحديد الأشكال التي يتم بها العمل التطوعي في العادة والتي يمكن تلخيصها في ما يلي:

1. تطوع فرد لخدمة فرد آخر وهو أمر شائع، الا أنه لا يعد كثيراً

كخدمة تطوعية بقدر ما يحدده واجب إجتماعي كرعاية الوالدين مثلاً، أو أنه يتسم أحياناً بمؤقتية عابرة ولمرة واحدة، ورغم ذلك فهو يحمل قيماً إنسانية تشير إلى إنتماء لقضية التطوع.

2. تطوع فرد لخدمة مجموعة: وهذا الأمر شائع كثيراً، إذ يرهن كثير من الأفراد جهدهم التطوعي لخدمة مجموعة بشرية بحاجة لهم، كتطوع عاملين إجتماعيين لخدمة مسنين مثلاً، أو تطوع طبيب لخدمة شريحة تعاني من مرض ما ...الخ، وهذا أيضا نوع من التطوع لكنه يبقى مقتصراً على الجهد الفردي المبذول والقيم الفردية التي يؤمن بها المتطوع.

3. تطوع مجموعة لخدمة فرد أو أسرة، وهذا النوع من التطوع ينتشر في المجتمع الفلسطيني، خاصة في ظل إشتداد عمليات مصادرة الأرض وهدم البيوت حيث تهُب مجموعات من الشباب لتقديم المساعدة للأسرة أو الفرد المنكوب.

4. تطوع مجموعة لخدمة مجموعة أخرى، وهذا النمط هو الأكثر إنتشاراً في مجتمعنا الفلسطيني، وهو نمط مترع بالقيم الإجتماعية العامة والإيجابية ويعبر عن شعور جمعي، هنا يمكن لهذا النمط أن يحمل وجهين، الأول: هو قيام مجموعة بتقديم المساعدة لمجموعة أخرى تحتاجها وهذا يتم في في إطار القرية أو المدينة وعلى صعيد محلي، والوجه الآخر هو قيام مجموعة بخدمة جماعة عامة، بإعتبار أن خدمتها تشكل جزءً من العمل العام وتُعبر عن قضية عامة للمجتمع، وهنا يمكننا القول أن العمود الفقري للعمل التطوعي الفلسطيني الذي إنتشر بعد إحتلال الضفة والقطاع كان هذا النوع من العمل التطوعي والذي على أساسه نشأ وتقدم ليشكل ظاهرة إجتماعية سياسية عامة في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي.

بعد هذا العرض لمفهوم وأنماط العمل التطوعي، لا بد من التعريج على تطور العمل التطوعي في فلسطين من العفوية إلى المأسسة، هنا لن نُعالج العمل التطوعي الخيري والمُمأسس سابقاً، بل سنركز أساساً على العمل التطوعي الجماهيري والمرتبط بالقضية الوطنية، من خلال كون العمل التطوعي أداة تعبئة شعبية في مواجهة الإحتلال وسياساته.

4-التطوع جزء أصيل من مكونات الثقافة الشعبية الفلسطينية

قبل تجريف المشروع الصهيوني للمجتمع الفلسطيني وتجريده من وسيلة الإنتاج الرئيسة التي كان يحقق فيها قوة عمله ويعيش منها، كانت فلسطين مجتمعاً زراعياً شكل الريف فيها أكثر من ثلاثة أرباع المكون الإجتماعي البشري المعرف بالسكان، ولم تكن الزراعة في فلسطين قائمة على العمل المأجور كما في الشكل الخالص للرأسمالية الزراعية، بل كانت الزراعة تعتمد في جوهرها على العمل العائلي في نطاق ملكيات أو حيازات صغيرة ومتوسطة للأرض، وحتى في الملكيات الإقطاعية الكبيرة في السهول الفلسطينية، لم يكن العمل المأجور هو النمط الشائع في الزراعة بل كانت علاقات الضمان والمحاصصة هي السائدة، وبذلك فان العمل الأسري ظل هو نمط العمل السائد في الزراعة الفلسطينية حتى هذا اليوم. هذا الوضع لم يدفع العائلة المزارعة حين تحتاج إلى قوة عمل في موسم معين إلى إستئجار العمال الزراعيين، بل كانت تلجأ في تعويض النقص الموسمي بقوة العمل إلى « العونة «، حيث شكلت « العونة « مؤسسة إجتماعية هدفها سد النقص في قوة العمل، دون الحاجة إلى تعويض مادي لقاء العمل المبذول من الآخرين.

فالعونة في التاريخ الإجتماعي الفلسطيني كانت متناسقة مع النمط البطريركي للتركيب الأسري الفلسطيني ولتركيبة المجتمع الفلسطيني، فحيثما إحتاجت أسرة لقوة عمل معينة كانت تلجأ إلى مفهوم العونة حيث يتطوع الأقارب والأصدقاء لمساعدة الأسرة في إنجاز العمل والذي غالباً ما تركز في مواسم الحصاد والقطاف أو عند بناء بيت أو منزل، بحيث يتم بناء نمط من التعاون يفيد الجميع، فأحياناً كانت الأسر تتفق على حصاد أو قطاف نتاج الأراضي التي تمتلكها في جهة معينة من القرية، لتنطلق جميعها ومعاً إلى الجهة الأخرى، وهو ما يعرف ب (الطلقة الشرقية والطلقة الغربية في قطاف الزيتون).

يقول غسان جرار في لقاء أجري معه: « العمل التطوعي ليس شيئاً مقطوع الجذور، ففي التراث والتاريخ الفلسطيني كان مفهوم العونة موجوداً عند الناس في القرى وفي المدن في قطف الزيتون، صبة باطون لبيت، أي عمل سواءً كان فردياً أو جماعياً كنت تجد العونة، تفزع كل البلد وتشتغل مع كل واحد، هذا كان يؤدي لإنجاز العمل، كان يخلق روح

التضامن بين الناس، من هنا إنبثقت في الأذهان فكرة العمل التطوعي»

حيث سمات العونة الأخرى أنها لم تكن تقتصر على التعاون والتعاضد بين العائلات لسد إحتياجاتها فقط، بل كانت تمتد إلى نواحٍ عامة تهم القرية جميعها مثل: تجريف أحواض ينابيع الماء لتسهيل الوصول إليها، بناء مضافات العائلات، حفر آبار الجمع، بناء المساجد وشق بعض الطرق الزراعية وغيرها من الأعمال العامة النافعة والتي كانت تتعاون فيها عائلات القرية لتسهيل حياتها أو لتقديم خدمة معينة لأهالي القرية جميعهم.

هنا تختلف العونة عن أعمال السخرة التي كان يفرضها أحياناً الحكم العثماني على أهالي القرى، والتي عادة ما كانت تهدف إلى تسهيل عمل الولاة والحكام الأتراك في البلد، لإنها تنبع من اختيارات حرة للناس ولأجل خدمتهم ذاتياً، بينما كان جوهر السخرة هو الإكراه والإجبار على العمل دون مقابل، ودون أن يحصل المسخر على فائدة مباشرة من هذا العمل إن لم يكن موجه ضده شخصياً.

يتحدث محرم البرغوثي في حوار أجري معه: «كان العمل التطوعي في فلسطين تعبيراً عن مواجهة الفقر (العوز والحاجة) الذي كانت تمر به المنطقة وتحديداً وقت الحكم العثماني، وكان يسمى «الفزعة أو العونة» تعبيراً عملياً عن التعاون بين الناس لمواجهة الفقر، وهي مرتبطة بمواسم زراعية في موسم الحصاد في موسم الزيتون، وأيضا قبل الأربعينيات لم يكن هناك إستخدام للإسمنت في البلاد، كان الناس يصنعون الشيد من الحجارة بما يعرف باللتون أو الكبارة، وكانت تحتاج لأشهر لتحضير الأشجار البرية لتوفير النار المطلوبة لتحويل الحجر لشيد، وتحتاج إلى فزعة أو عونة من أهل القرية لمساعدة صاحب المشروع، وأيضاً في بناء البيوت التي كانت تعتمد على كميات كبيرة من الطين والشيد. والعمل التطوعي كان الناس يشاركون في العقد أو في البناء وتحديداً في العقد، وبالتالي كان العمل التطوعي أو العونة أو الفزعة قيمة إجتماعية ما بين الناس»

بعد النكبة الكبرى عام 1948 تحول مفهوم العونة إلى حالة مركبة بين العونة والمساعدة، فتشريد مئات الألوف من أبناء الشعب الفلسطيني خارج وطنهم، دفع الأهالي المضيفين إلى تقديم المساعدة لهم، في حين طور اللاجئون آليات تكيف ذاتية مع الواقع الجديد من خلال التعاون فيما بينهم، وهذا الأمر يحتاج إلى دراسة موثقة لم يتطرق إليها أحد لغاية الآن.

غير أن مفهوم العونة بدأ يتلاشى مع زيادة تسليع القرية وتفتت الأسر الممتدة في فلسطين، وزيادة ترسمل المجتمع الفلسطيني بولوج حالة من الحداثة القائمة على بنيان مشوه ناتج عن آثار النكبة الإقتصادية والإجتماعية والسياسية، غير أن اللجوء إلى العونة لم يضمحل تماماً، لكنه لم يعد الظاهرة السائدة في تعويض النقص بقوة العمل، وذلك مع إنتشار العمل المأجور وترسخ قيم السوق وعلاقاتها في المجتمع.

سليم البسط في لقاء معه حول الموضوع، يقول: « في حياتنا كلاجئين بالمخيمات كنا نمارس العمل التطوعي، دون أن يكون لدينا المفهوم، كانت ظروف المخيمات في الستينات صعبة: لا شوارع لا ماء أو كهرباء، ولو أخذنا الشتاء في المخيمات كمثال فقد كان كارثياً جداً لأن البيوت كانت من الصفيح، والشوارع طينية، وكانت السيول تداهم بيوت اللاجئين، كنا نلبس «الجزم» ونقوم بعمل أقنية لمياه الأمطار لنبعدها عن البيوت إلى حد المستطاع»

5-التطوع كوسيلة تأطير جماهيري

مع إستكمال إحتلال باقي فلسطين عام 1967 نشأ واقع فلسطيني جديد، فالدول التي حكمت ما تبقى من فلسطين بين 1948-1967 لم تعد تحكمها، في حين نشأت حركة مقاومة فلسطينية للإحتلال اتخذت طابعين: الأول مسلح ويعتمد المجموعات الفدائية التي تعمل سراً وقد كان الأكثر بروزاً، فيما الثاني كان حالة مقاومة سياسية مؤسساتية لسياسات الإحتلال، وقد قمع الإحتلال كلا الوجهين حيث إستخدم الملاحقة والقتل والإعتقال لمن يصل إليهم من المقاومين، ورفد ذلك بسياسة الإعتقال الإداري والإبعاد للشخصيات الوطنية وقادة المؤسسات القائمة في الضفة والقطاع والقدس، محاولاً الإعتماد على البنى التقليدية في تسيير حياة الناس.

غير أن سياسة الإحتلال فشلت سواءً في كبح العمل المسلح أو العمل السياسي المقاوم لسياساته التي كانت تهدف إلى إستمرار السيطرة على ما إحتله ضارباً بكافة القوانين والقرارات والأعراف الدولية عرض الحائط، هذه السياسات حافظت على وتيرة المقاومة الفلسطينية التي تعددت أوجهها، فكانت تقوى في فترات وتخبو في أخرى، إلا أن الإحتلال لم ينجح في تفريغ الأرض المحتلة من مواطنيها ولم يتمكن من ترويضهم كمتقبلين لواقع الإحتلال.

فقد عملت الحركة الوطنية الفلسطينية على إجتراح آليات مقاومة تستند للجماهير في الداخل وتستطيع أن تشكل مصدر قلق للإحتلال من جهة، وعاملاً من عوامل تأطير المجتمع في حالة من بلورة هوية وطنية منسجمة مع حالة النهوض الوطني التي كانت تمثلها منظمة التحرير الفلسطينية من جهة أخرى.

يقول منير فاشه في مقابلة أجريت معه: « أكثر شي غير حياتي كانت حرب عام 67، كنت وقتها معلماً في جامعة بيرزيت، بدأنا بلورة شئ في عام 71، شكلنا نادياً في جمعية الشابات المسيحية في القدس بإسم نادي الغد، كنا حوالي 15 شخصاً من عدة خلفيات، لكن وجدت أن اجتماعاتنا لا تؤدي إلى عمل مهم، فاقترحت أن نبادر بعمل تطوعي، توجهنا إلى بلدية رام الله كان كريم خلف رئيسها، وإلى بلدية البيرة وكان عبد الجواد صالح رئيساً لها، وقلنا لهم: نريد أن نعمل شيئا يخدم المدينتين، أيام الجمع والآحاد، أول عمل كان لنا في مكتبة رام الله

العامة والبيرة العامة، صرنا نذهب الى المكتبتين لمساعدة طلبة التوجيهي، وبعد ما انتهت إمتحانات التوجيهي بدأنا نشتغل في البلد، من أول الأعمال اللي عملناها كان تنظيف سوق الخضار في البيرة، كان معنا عبد الجواد صالح، وبدأ بعض الطلبة وبعض الشباب يأتون من القرى والمخيمات، صرنا نجتمع في مكتبة رام الله وفي مكتبة البيرة أسبوع هنا وأسبوع هناك، لم يكن هناك مأسسة لعملنا، ولا ميزانية، كنا نلتقي كل خميس ويعرض علينا مشاريع عمل في يوم الجمعة، مثلاً: تعبيد طريق في مخيم الجلزون أو بناء سور مدرسة في قرية كفر نعمة ... الخ، كنا نجمع أنفسنا يوم الجمعة ونمضي، إذا كان المكان قريباً نذهب مشياً، وإذا كان المكان بعيداً كنا نأخذ باص. هذه كانت البداية نهاية عام 1971، ثم بعدها إهتم شباب المدارس وصاروا يبادرون لأعمال تطوعية فيها لتنتشر في مدارس الضفة، عام 73 بدأ الإحتلال يحاول منعنا من بعض الأعمال، خفت في البداية، لكن فكرت أنها فرصة مناسبة لإدخال العمل التطوعي إلى جامعة بيرزيت، فقدمت ورقة للدكتور حنا ناصر وكان رئيس الجامعة قبل أن يُبعد، واقترحت أن يكون هناك عدد من الساعات كمتطلب للتخرج من جامعة بيرزيت، ووافق رئيس الجامعة وأصبح العمل التطوعي حتى الآن موجوداً بإسم العمل التعاوني»

وتقول سونيا نمر حول نفس الموضوع: « حركة العمل التطوعي نبعت أصلاً من الحراك الذي كان موجوداً، حراك أخذ أكثر من شكل، غير التنظيمات السياسية والعمل بينها، أخذ جانب ثقافي وإجتماعي، مثل إنطلاقة الحركة المسرحية، إحياء التراث، المقاومة بكل أشكالها، من هنا جاءت فكرة العمل التطوعي, وبدأ من خلالها إدخال الطلاب والمجتمع في الحراك المجتمعي كله، وهذا كان له أبعاده السياسية «

لم تبق حركة العمل التطوعي الفلسطينية دون مأسسة، فقد شكلت بذرة المأسسة الأولى في ما إعتمدته جامعة بيرزيت من شرط للتخرج، لكن الأمر تجاوز ذلك إلى إنتشار الفكرة من خلال ما قدمه طلبة جامعة بيرزيت من نموذج عملي.

وحول مأسسة العمل التطوعي، يتحدث محرم البرغوثي، قائلاً: « بعد عام 72 بدأت نويات العمل التطوعي تتشكل في بعض القرى، وكانت

الصحف تنشر أخباراً عنها، إنتشرت الفكرة وبدأت مجموعات من الشباب في عدد من القرى يشكلون لجان عمل تطوعي ويطلقون عليها الإسم من تلقاء ذاتهم، في أواخر السبعينات تم حرق جمعية الهلال الأحمر في غزة، وعلى ضوئها تم تشكيل لجنة عمل تطوعي لإعادة ترميم الجمعية في قطاع غزة، وانطلقت لجان العمل التطوعي في قطاع غزة ، وفي سنة 1980 بادرنا إلى الإتصال ما بين 30 إلى 40 لجنة عمل تطوعي منتشرة في الضفة وقطاع غزة، وعقدنا إجتماعاً في جامعة بيرزيت (في الحرم القديم) حيث كان لديها في مجلس الطلبة لجنة العمل التطوعي، حضره 37 لجنة عمل تطوعي من مختلف أنحاءالضفة وقطاع غزة، خرج هذا الإجتماع بضرورة تشكيل لجنة تنسيقية ما بين كل اللجان للعمل التطوعي، أطلق عليها اللجنة العليا للعمل التطوعي في الضفة وقطاع غزة، وهي لجنة مركزية لكل اللجان، ولكن في كل منطقة كان هناك لجنة ولها مندوب في اللجنة العليا تنتخبه، وتم في 15/8 سنة ال 80 إنتخاب أول لجنة عليا للعمل التطوعي وكنت أول مسؤول لها»

لعب صعود منظمة التحرير الفلسطينية والإقرار العربي والدولي بكونها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني في كافة أماكن تواجده، دوراً كبيراً في توسيع النشاط الجماهيري في الأراضي الفلسطينية المحتلة، فبعد أن شتت الإحتلال قادة الجبهة الوطنية بين إبعاد وإعتقال، تشكلت لجنة التوجيه الوطني التي ضمت رؤساء بلديات منتخبين، وقادة نقابيين وجماهيريين استطاعوا أن يعززوا حالة المد الوطني في الداخل مستندين إلى قوة الشباب المتمثلة في طلبة الجامعات وطلبة الثانوي، والأندية الشبابية المختلفة، إضافة إلى اللجان الشبابية المحلية والتي حملت عنوان « لجان العمل التطوعي »، غير أن التنافس السياسي بين القوى الفلسطينية على كسب الجماهير دفع كل فصيل سياسي إلى تشكيل منظمته التطوعية الخاصة به والمنبثقة عنه، سواءً على صعيد مركزي أو على صعيد محلي، فقد كانت هذه اللجان عنوان التنظيم الجماهيري خارج المؤسسات وخصوصا في الأرياف والمخيمات التي كانت تفتقد للمؤسسات العامة، وباتت (هذه اللجان التطوعية) عنوان مقاومة جماهيرية واسعة ضد الإحتلال، سواءً كان ذلك بالعمل التطوعي المباشر أو بأعمال وطنية شعبية في التصدي لقوات الإحتلال والمستوطنين عبر رَشق سياراتهم بالحجارة والزجاجات الحارقة.

وتحدث غسّان جرار في مقابلة نظمت معه، حيث قال: « في منتصف السبعينيات بدأت مرحلة تهديد الأراضي ومصادرتها بكثافة، وعلى ذلك كان جزء من حماية الأراضي هو زراعتها، فتنبهت القوى السياسية لهذا الموضوع تحديداً، وهذا يعني أن النشاط السياسي قسم البلد لهذه القوة أو تلك وأتباعها حتى لو لم يكونوا أعضاء، تنافست القوى السياسية على تشكيل لجان العمل التطوعي الخاصة بها»

على إثر إرتباط الدور الوطني المقاوم بالعمل التطوعي، تنبه الإحتلال لخطورة الظاهرة وبدأ يقاومها ويلاحقها، سواءً بملاحقة المتطوعين في ميدان العمل أو في نصب الحواجز ومنع المتطوعين من الوصول إلى هدفهم، ثم لجأ للإعتقال الإحترازي خاصة عند حلول المناسبات الوطنية مثل يوم الأرض وغيره، كما إفتتحت سلطات الإحتلال سجن الفارعة مخصِصَةً دوره لكسر شوكة الشباب المتطوع والأجيال الصاعدة، غير أنه تحول إلى قلعة تربى وترعرع فيها الشباب، وبات السجن عنواناً لهذا الأمر حتى تم إغلاقه بعد إتفاقية أوسلو، وإنسحاب القوات الاسرائيلية من تلك المنطقة ليتحول بعدها إلى مركز تأهيل شبابي تشرف عليه وزارة الشباب والرياضة الفلسطينية.

6- دور المرأة في العمل التطوعي

كان للخصوصية التي عاشتها فلسطين من إحتلال إسرائيلي، وإستخدامه لجميع وسائل القمع والترهيب ضد الشعب الفلسطيني دوراً هاماً في الإرتقاء بدور المرأة وتمكينها في المجتمع الفلسطيني، فقد ساهم هذا الواقع في خروج المرأة من الدور التقليدي النمطي الذي عاشته داخل المجتمع والمتمثل في الإنجاب والرعاية الأسرية والأعمال المنزلية، إلى الإنخراط والتفاعل الإيجابي مع المجتمع في مختلف الشؤون الحياتية والإجتماعية.

لم يكن هذا التحول تمرداً على الفكر المجتمعي السائد أو العادات والتقاليد المتوارثة، بقدر ما كان إسهاماً وطنياً لمواجهة الإحتلال الإسرئيلي وسياسته القمعية والتهويدية، حيث إعتبرت المرأة الفلسطينية بأن ممارسات الإحتلال القهرية بحق كل ما هو فلسطيني يشكل تحدياً ذاتياً لها من حيث تعزيز الهوية الوطنية والإنتماء لقضايا وطنها وشعبها، فأصبحت الفتاة والأم والمربية والمناضلة التي تعرضت كثيراً للإعتقال والأسر شهوراً طويلة داخل معتقلات الإحتلال الصهيوني.

في مقابلة مع ربيحة ذياب، قالت: « يعني كنت أشعر بإنوا هذا الموضوع جزء من أجندتي الوطنية، وجزء من مشروعنا الوطني، وجزء من محاولة لجمع الناس حول فكرة معينة (فكرة العمل الوطني). أنا أعتقد من يكنس شارع في بلده أو منطقة أخرى يشعر بالفخر، وهذا يعطي للآخرين أن يكونوا أو يعملوا مثل هذا العمل بشكل أو بآخر، وإنوا كل شيء بنقوم فيه بكمل بعضه ضمن برنامج وطني لتعميق العمل وتأصيل الإنتماء للأرض والوطن ».

ساهم هذا الخروج الإيجابي للمرأة في رفع الوعي المجتمعي بعظمة الدور الذي تقوم به في سبيل تعزيز وحماية الحقوق الأساسية للشعب الفلسطيني، حيث أدرك المجتمع الذكوري أهمية وضرورة تكامل دور المرأة مع الرجل في الحفاظ على الهوية الوطنية الفلسطينية وتعزيزها، وبالتالي إستكملت المرأة الفلسطينية دورها فتنامى على الصعيد الميداني عبر التنظيم والمشاركة في مختلف الأعمال التطوعية والوطنية التي يقوم بها الرجل، حيث كان لها حضوراً فاعلاً في إستصلاح الأراضي المهددة بالمصادرة وتنظيم المظاهرات والإعتصامات، وتوزيع البيانات والمنشورات المناهضة للإحتلال،

وحماية الشبان من إعتداءات جيش الإحتلال الإسرائيلي وعرقلة عملية إعتقالهم.

يؤكد خالد منصور خلال مقابلة أجريت معه على دور المرأة في إسناد مسيرة العمل التطوعي والوطني، حيث قال: « هنا كان دور النساء، أنا بتذكر كانوا (النساء) يروحوا يجيبلونا حجار في الكُفِة، في المناطق الحامية مشان الشباب يلاقوا حجار يضربوها، بعض النساء أنا شفتهم-وأتمنى إنوا أيامها كان عنا أجهزة تصور-وبعض الختياريات الكبار في السن يكسروا الحجار الكبيرة؛ علشان يكون عنا ذخيرة، أبلوا بلاء حسن ... الإحتلال وصل لمرحلة إنوا يعاقب النساء زي ما يعاقب الرجال، أنا دخلت على المخيم أكثر من مرة ألاقي النساء مشبوحات، عارف شو مشبوحات؟، واقفت رافعات إيديهن على الجدران، لأنوا ضبطهن الجيش وهمي بساعدوا الشباب وبجيبن حجار. بعض النساء لما كان يُعتَقل شباب كانوا يهاجموا القوة العسكرية. أنا شفتها بعيني: كيف وحدة إبن سلفها أُعتقل، فهجمت من ورى على الجنود وهمي ساحبين الولد، زقت الجندي ويلا هوي على وجه، فَلَت الشب وضلوا طالع (هارب). أنا أختي أطلقوا عليها النار، وتصاوبت وهي بدافع عن الأولاد الصغار، قلها الجندي: بطخك، قالتلوا: طخ، مفكرتوش مجرم لهالدرجة! فأطلق النار، اللّه الحامي إنها أبعدت وجها، فيبدوا زاحت ... أجت الرصاصة في إصبعها ففتتته، وهي بدافع عن الأطفال الصغار. فالنساء لعبوا دور، كانن ييجن معنا علشان يحملوا المناشير، أنا أمي كان عمرها 80 سنة أقوللها تعالي يما، تقولي عارفتك شو بدك تعطيني، أعطيها قوم المناشير، مشان تحطهم تحت الحزام وتربط عليهم، عشرات المرات نمرق عن حواجز الإحتلال يفتشو السيارة، أمي كانت ختيارة، ميجيش في بالهم حاطة المناشير هيك، فلعبوا النساء دور كبير في هاي الأعمال »

لقد قامت المرأة الفلسطينية على تحقيق دورها بكل جدارة وإقتدار في مسيرة العمل التطوعي والوطني، فخلقت نموذجاً ومثالاً يحتذي ويقتدي به الآخرون ويقتفون أثره، وقد أثار هذا النموذج المُقَاوِم للمرأة الفلسطينية حفيظة الإحتلال الإسرائيلي الذي إستهدفها مثلها مثل الرجل بالقمع والإعتقال والإبعاد.

وفي حوارٍ آخر مع سهام البرغوثي حول مشاركة المرأة الفلسطينية في

العمل التطوعي، قالت: « بذكر أول نشاط شاركنا فيه، كان في ملعب مدرسة مخيم الأمعري، وهاد الشغل كان بحاجة الى طورية وجر ... الخ (يعني بحاجة الى عضلات وجهد وتعب)، فلما قررنا ننشتغل بملعب مدرسة الأمعري، الشباب بلشوا يتغامزوا: إنوا هل ممكن هدول البنات ينزلن ويمسكن الطورية ويشتغلن؟، وهون كان التحدي، إنوا كيف بدي أحول دور المرأة من دور محصور بالإنجاب إلى دور إجتماعي عام، فصار جزء من التحدي. طبعاً لما بدك تكوني نموذج معناته بدك تضغطي على حالك بإنك بتستطيعي تقومي بهاي الأعمال اللي هي شوي شاقة، لحتى تقدري تعطي نموذج، وتعطي الفرص للأخريات إنهن ينخرطن في هادا العمل، واشتغلنا بالطورية، فكان فعلاً الشباب ما صدّقوش إنا راح نشارك بهادا الإصرار وهادي العزيمة ... فهادا الشي بالفعل أعطانا دفعة بإنوا بإمكانا إنا نعمل وننجز، بعديها إتصلنا بالمدارس والجامعات ندعوا للمشاركة، فبدا العدد يزيد»

7-الموقف المجتمعي من العمل التطوعي

لم يكن العمل التطوعي رغم إنتمائه لتقليد شعبي قديم خارج نقد الثقافة السائدة في المجتمع، ولأن بداية العمل التطوعي كانت من قبل شخوص يتمتعون بذهنية إجتماعية متحررة أو يسارية في أغلب الأحيان، وحيث لم يكن طابع العمل التطوعي ذكورياً فقط، إصطدم المفهوم مع ثقافتين وانسجم مع ثالثة، إصطدم مع الثقافة الشعبية التقليدية السائدة في الأرياف أكثر منها في المدن والمخيمات نظراً للإختلاط بين الذكور والإناث، لكن عائد العمل الاجتماعي والموقف الوطني العفوي للناس، غلّبَ القبول المجتمعي للظاهرة واستطاع العمل التطوعي أن يتجاوز العقبة التقليدية، بفعل إحترام المتطوعين لقيم المجتمع والتركيز على الإنجاز، في حين عانى من تشهير جماعة دينية رأت فيه عنصراً واحداً وهو « الإختلاط الحرام » واستخدمت منابر المساجد وأحيانا المنشورات المكتوبة للتشهير به، وفي ذهنهم أن من يرعى هذه الأعمال هم شيوعيون إباحيون، غير أن إنعزال هذه القوة وعدم مشاركتها في الحركة الوطنية حتى إندلاع الانتفاضة، لا بل معاداتها للقوى الوطنية أضعف منطقها ولم تستطع كسب الجمهور إلى جانبها، وهو ما يعد مكسباً إجتماعياً وثقافياً لمفهوم العمل التطوعي وترسيخا له.

تتحدث خالدة جرار حول الصعوبات التي واجهت حركة العمل التطوعي، قائلة: « في البدايات واجهنا صعوبات، لكن مدخل الصعوبات كان سياسي، بمعنى إنو هدول يساريين (اللي بنزلوا ينظفوا الشوارع) ... كان هناك مظاهر رافضة، لكن كانت هذه هي الإستثناء، لإنهم كانوا يشوفوا نتائج العمل وكان في إنجازات، والعمل التطوعي كممارسة إنسانية كان فيه قيم أخلاقية نسعى لتأسيسها من خلال الأنشطة التطوعية عكس ما كان يدعي بعض الأشخاص: « بإنوا الأعمال التطوعية بدون قيم وبدون أخلاقيات » هدول كانوا يحاولوا يشوهوا مسيرة العمل، لكن الناس كانت تشوف النتائج، إنوا هدول (المتطوعين) ناس بحترموا القيم وبعززوا قيم المشاركة، وبالتالي كان هناك إحترام لهذا الموضوع. في بعض المراحل كانت أحياناً تكون الظاهرة صعبة، لكن بعد فترة شهرين أو ثلاث من العمل والإنجاز اللي الناس أصبحت تشوفه ... أصبحت تتقبل الفكرة»

عدا ذلك فقد أظهرت قطاعات مجتمعية دعمها للعمل التطوعي من خلال دفاعهم عن جمهور المتطوعين ومساعدتهم على تنظيم أعمالهم من خلال تقديم التبرعات العينية التي تخدم هذه الأعمال مثل: العِدد ومواد البناء وبعض الآليات وغير ذلك، حيث كان ذلك لا يقلل من كلفة العمل التطوعي فحسب بل يخلق إلى جانبه أنصاراً في المجتمع.

ويؤكد زكريا النحاس في مضمون حديثه على الدعم المجتمعي لحركة العمل التطوعي، قائلاً: « كنا نصطدم خاصة في القرى بأناس ينتقدون عملنا على أساس أنه يضم رجالاً ونساء، أو صبايا وشباب، كنا ندخل معهم في نقاشات ونوضح لهم قناعتنا أن المرأة بإمكانها أن تساعد الرجل، وأن العلاقة فيما بيننا علاقة محترمة جداً ولا إساءة فيها للقيم المجتمعية، وعلى مدار سنوات عملنا بالعمل التطوعي لم يسجل على أداء العمل التطوعي أية ملاحظة لها طبيعة أخلاقية تتعلق بعلاقة الرجل بالمرأة، كنا نتكلم بصراحة أننا لسنا رقباء على حد، ولكننا نحمل مسؤولية جماعية، كان هناك إتهامات من الخارج لنا، مثلاً: في القرى طلع (خرج) بعض الناس ممن لم يعجبهم عملنا بإتهامات وكان الرد من آخرين وليس منا، أننا جئنا إليهم أكثر من مرة وساعدناهم ولم يروا منا ما يشين. في قرية كفر مالك أتذكر أننا عملنا على مدار أسبوعين في رصف طريق توصل إلى العين البعيدة، تكرار ذهابنا إلى كفر مالك إستفز بعض الناس، ففي إحدى المرات جاء خطيب الجمعة وبدأ يهاجمنا، لم يكن الخطيب من أهل البلد، ما أراحنا أن أهل البلد طلبوا منه التوقف عن الخطبة وأن لا يرجع مرة أخرى للخطابة في المسجد، وقالوا له هؤلاء الشباب رأيناهم وتعاملنا معهم ورأينا ماعملوا وقدموا للبلد أكثر مما قدمت»

8- العمل التطوعي وتصديه لمشروع روابط القرى

« تعزيز ثقافة الإقتصاد الشعبي المقاوم»

كان لإجتياح الإحتلال الإسرائيلي للبنان عام 82 تبعاته، حيث خرج مقاتلو منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت، وكان هذا الإجتياح مخططاً له من طرف الإحتلال قبل عام من تنفيذه؛ بهدف إضعاف منظمة التحرير الفلسطينية وخلق بديل لها في فلسطين عندما تعثرت مفاوضات كامب ديفيد التي أجريت عامي 1979/1978 بزعامة الرئيس المصري أنور السادات الذي رفض إعادة ضم قطاع غزة إلى مصر.

حينها إختمرت فكرة إنشاء روابط القرى لدى أرئيل شارون الذي كان في ذلك الوقت وزيراً للحرب في حكومة مناحيم بيغن والذي بدوره أوكل لمناحيم ميلسون (رئيس ما يسمى بالإدارة المدنية) مهمة تشكيل هذه الروابط في الأراضي المحتلة عام 1967 ، وذلك تمهيداً لمنح الفلسطينيين حكماً ذاتياً وفق ما تضمنته إتفاقية كامب ديفيد.

في هذا العام (1982) تشكلت فعلياً روابط القرى برئاسة مصطفى دودين الذي وقع عليه الإختيار للقبول بالحكم الذاتي للفلسطينيين والذي إقترحه بيغن بناءً على مضمون ما نصت عليه كامب ديفيد، وبدأت هذه الروابط في العمل على تقديم خدماتها للشعب الفلسطيني تحت مسمى « تنمية الريف وإنعاش الإقتصاد » مستغلة الإضطرابات السياسية والظروف الإقتصادية المتردية التي كانت تعصف بفلسطين.

لجان العمل التطوعي والتي تشكلت من مختلف التنظيمات الفلسطينية (الحزب الشيوعي الفلسطيني « حزب الشعب الفلسطيني حالياً » والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، وحركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح ») تنبهت للهدف والغاية من تشكيل روابط القرى، فبدأت أولى مهامها في رفع الوعي المجتمعي وتثقيفه وتعريفه بحقيقة تشكيل تلك الروابط، وتنظيم الفعاليات المركزية للإستعاضة عن تمويلها المشبوه من خلال تعزيز ثقافة الإقتصاد الشعبي المقاوم بين أبناء الشعب الفلسطيني لحماية المشروع الوطني، وسرعان ما آتت هذه المهام وتلك الفعاليات أُكلها في إفشال مخطط الإحتلال الإسرائيلي المتمثل بإضفاء الشرعية على هذه الروابط كبديل للممثل الشرعي للشعب الفلسطيني وهي منظمة التحرير الفلسطينية.

قال محرم البرغوثي في مقابلة شفهية أجريت معه: « لعبت لجان العمل التطوعي دور مهم في مقاومة روابط القرى، في التوضيح للناس المضّللين:

إنو هاذي بس بدها تقوم بخدمات في إطار سياسي بديل للممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني. وعشان هيك تم إغتيال رئيس لجنة العمل التطوعي في بيت كاحل (الأستاذ/ داوود العطاونة) في 19/6/1982 من طرف روابط القرى؛ حيث كان العطاونة ناشط في مقاومة روابط القرى، وكشف حقيقتهم أمام الناس. وإحنا في منطقة رام الله إعملنا عدد كبير من المهرجانات التوعوية في بيت عور وفي عدد كبير من القرى الفلسطينية ضد روابط القرى. وفي بيت سيرا وفي غيرها إعملنا على بناء جوامع ومدارس وشق طرق وشوارع، وعملنا مهرجانات شعبية ضد روابط القرى، وكان هذا بدعم من بعض الأشخاص الوطنيين، مثلاً: في طيرة بيت عور حيث كانت بحاجة لشق شوارع بداخل البلد ، فحينها تبرع كريم خلف رئيس بلدية رام الله بكل البسكورس والمداحل والآليات الضرورية لهذا المشروع، وإنعملت كثير من المهرجانات الجماهيرية ضد روابط القرى، وبالتالي كثير ناس عرفوا حقيقة الروابط وانسحبوا منها في حينه»

ويقول غسّان جرّار في مقابلة أخرى: « قرية عابود في هداك الوقت ما كانش فيها كهرباء، وكان المجلس المحلي عندوا مشروع لتمديد الكهرباء، كان وقتها روابط القرى التي عرضت على المجلس إنها تمول وتنجز المشروع. فيومها مين تصدى في البلد لإقتراح روابط القرى؟، كان في البلد لجنة عمل تطوعي مكونة من 17 شخص هي التي تصدت لروابط القرى، فقامت هذه اللجنة التطوعية على دراسة جدوى إقتصادية للمشروع، فلقيت بإنوا المشروع راح يكلف 8500 دينار أردني في ذلك الوقت بس زراعة أعمدة الكهرباء، والأعمدة موجودة من شركة كهرباء القدس بس بدك توقفها على أسس صحيحة. فرحنا على المجلس وقلناله حددولنا النقاط اللي بدكم تزرعوا فيها الأعمدة وإحنا بنزرعها، ورحنا على نقابة العاملين في شركة الكهرباء وإشتغلوا معنا تطوع، وجابوا خبراء ليحددولنا مواقع حفر العمدان. وجمّعَنا حوالي 200 متطوع، وبلشنا نحفر بالفؤوس والطواري، ونقلنا العمدان على أكتافنا من ساحة المدرسة في أول البلد ، وزرعناها عند النقاط التي تم تعليمها (تعيينها)، وكان معنا فنيين من نقابة العاملين في شركة الكهرباء الذين وجهونا وأرشدونا بكيفية توجيه الخزوق (الثقوب) لمد أسلاك الكهرباء ... ووقفنا الأعمدة. صارت الساعة خمسة المسا لما خلصنا شغل، بقوا كل أهل عابود طالعين يجدوا زتونهم، رجعوا لقيوا البلد كلها واقفة عمدان (تقريباً 120 عمود)، هاد مثلاً من النشاطات التطوعية المركزية، وتكرر نفس النشاط بالضبط في قرية رنتيس، وشبيه به في العديد من القرى»

9-العمل التطوعي والإنتفاضة

لم تك الإنتفاضة الشعبية الكبرى سوى تعبير عن حالة الضغط الشعبي في قمته، حيث بلغ السيل الزبى وطفح الكيل بالناس كل الناس (فرادى وجماعات) سواءً من ناحية الإنفجار ضد القمع الإحتلالي المتواصل في الأرض المحتلة، أو الإختمار في الوعي السياسي بين الجماهير، وتطور ذلك إلى حالة تنظيمية جماهيرية، تم التعبير عنها في حركة طلابية منظمة في الجامعات والمعاهد، وحركة تطوعية على إختلاف وتنافس توجهاتها السياسية لكنها كانت منظمة ومستعدة للعطاء. ومع إندلاع الإنتفاضة لم تتحول اللجان التطوعية عن دورها لكنها أضافت لمهامها مهمة الإنخراط الشامل في فعاليات الإنتفاضة، غير أن هذا الإنخراط حولها من مجرد مقدم خدمات تطوعية إلى فاعل نشط في الكفاح الوطني من أجل الحرية، هنا إنخرطت هذه اللجان التطوعية في إطار اللجان الشعبية ولجان الأحياء والقوى الضاربة، وغيرها من الأطر الجديدة، مما أثر على بنيتها واحالها جزءً من حركة وطنية شاملة تعرضت للملاحقة والإعتقال والإبعاد، وهذا جعلها تتراجع كبنية ذات هدف محدد، وأصبح دورها منوطا بفعاليات الإنتفاضة كالحراسة الليلية لمداخل القرى والمخيمات، أو المساعدة في إعادة بناء بيوت المناضلين التي هدمتها قوات الإحتلال، أو مراقبة سير مقاطعة البضائع الإسرائيلية، أو العمل في مشاريع الإنتاج المحلي.

يستذكر خالد منصور بعض المواقف، قائلاً: « انا في عندي شواهد على العمل التطوعي: كان واحد إسمو أحمد العبد أيوب، كان شب إجتماعي بكت عليه كل عيون الناس لما أستشهد بالإنتفاضة الأولى في 24/8/1988، كان محبوب لإنوا كان جدع يتحدى الجواسيس والمخابرات، أدمن السجن، بين كل فترة والتانية يعتقله الإحتلال، فيوم من الأيام كشف أحد العملاء وسبه وضربه، وقاله: إسمع مهي ديتك سجنة 18 يوم، بالفعل تم إعتقاله لأحمد، وفي نفس ليلة إعتقاله كان بدو يصب عقدة الدار تبعتوا (حوالي 150 متر)، فيوم ما أُعتقل مين بدو يصب الدار؟، تحدياً في الإحتلال تجمعوا أكثر من 100 شب من كل الأطياف والناس العاديين من الصباح الباكر، وهمي اللي صبوا الدار تحدياً بالإحتلال، ولحتى يوصلوا رسالة للإحتلال: بإنوا إحنا موحدين ضدك يا مُحتل. صبينا الدار ... وأهلوا والناس بتتذكر كيف كان الرد السريع للمتطوعين»

في ظل هذه الفترة أُغلقت المؤسسات التعليمية العليا من جامعات ومعاهد، وتراجع العمل التطوعي في هذه المؤسسات، وبات الخلل يدب في أوصال هذه المؤسسة التطوعية مع تراجع الإنتفاضة، خاصة بعد حرب الخليج الأولى عام 1991، وبدء المفاوضات التي أعقبت مؤتمر مدريد، حيث بدأ تحول الأطر الشعبية الواسعة إلى أطر مهنية تتلقى تمويلاً خارجياً، وبدأ العمل التطوعي يتراجع ويحل محله نشاطات المنظمات الأهلية، حتى جاء أوسلو وأنهى التجربة بفعل تطوراته وما نشأ عنها من وجود سلطة بأجهزتها المختلفة، وتوسع وزيادة عدد المنظمات الأهلية، ودخول القطاع الخاص إلى الميدان معترك الحياة.

لقد تراجع هذا الدور في الجامعات وبات العمل التطوعي عملاً شكلياً أو مجرد روتين بهدف إنهاء متطلبات التخرج، فيما بات الناس يطالبون السلطة الوليدة بحل مشاكل كان يتصدى لها العمل التطوعي، أو أنهم وجدوا في الخدمات التي تقدمها بعض المنظمات الأهلية عملاً تطوعياً، مما شوه الفكرة والقيم الخاصة بهذا العمل.

يقول كامل جبيل في مقابلة أجريت معه: « إذا أردنا توثيق بداية الإنهيار للعمل التطوعي، نستطيع القول أنه مع دخول الفئوية بشكل أوسع والإستقطابات، لم يكن وقتها مؤسسات مانحة، ولم نكن نتوجه الا للمجتمع المحلي. وبعد ما صار لدينا توجه نحو تحصيل دعم، صار الخلاف، قضية الخلاف هي في تحديد معين للميزانية المخصصة للعمل، عبر أوجه صرف معينة، مثل التوظيف، هنا كان الأساس في قضية تخريب أي عمل وطني، برأيي عندما دخلت علينا الدول الداعمة من أوروبا وأمريكا، وهو دعم موجه لفكرة تتجاوب مع أفكاره وسياساته في المنطقة، بعد ذلك بدأ العمل التطوعي الموجود يأخذ منحى آخر مثل إنشاء مؤسسات صحية أو زراعية ...الخ، معظم اللجان للأسف الشديد باتت تمتلك ملايين الدولارات والأمثلة واضحة للناس، أن مؤسسات كانت تخدم الناس في العمل التطوعي وتعتمد على ما يقدم لها المواطن، أصبحت الآن تمتلك كميات كبيرة من الأراضي « ملايين الدولارات »، أسهم في شركات متعددة كبيرة، وفي نفس الوقت الكادر الذي كان موجود فيها أصبح اليوم ينتمي إلى الشريحة فوق المتوسطة، حتى بقايا المؤسسات الي أُنشئت بإسم عمل تطوعي أصبحت مؤسسات رأسمالية وإمكانياتها كبيرة جداً على أرض الواقع ولم تعد تخدم المجتمع المحلي بمفهوم العمل التطوعي»

ومن جانبه يتحدث تيسير العاروي حول نفس الموضوع، قائلاً: " أعداء الشعب الفلسطيني المختلفين أدركوا بحكم الإنتفاضة وبنيتها القوية قوة هاي التنظيمات الجماهيرية التي كانت نتاج العمل التطوعي (لجان العمل التطوعي والنقابات المهنية ولجان المرأة ... الخ) إنوا إنت بتشوف كل المجتمع ضمن هذا النسيج المُنظم، بتشوف الطفل من عمر سبع سنوات حتى الختيار كل واحد إلو دور، حسب إمكانياته شو بقدر يسوي. هلأ هذا لفت إنتباه الأعداء، وهدول الأعداء كان إلهم تجربة كبيرة في إفساد المجتمعات ومؤسساتها الجماهيرية بالأموال، فبالإستناد لهاي التجربة في تقديري كان في إمكانية إنوا نفسد بالأموال. صار في إتجاهين: إتجاه التمويل هاد لمنظمة التحرير الفلسطينية وهذا خلق تناقضات ومشاكل، بس الأخطر في الحقيقة هوي إنو كثير من المنظمات الجماهيرية صار يجيها ممولين أجانب بقولولها: إنتي عمالك بتعملي عمل مهم و ... الخ وإحنا مستعدين نعطيكم تمويل، وتحولت العديد من المنظمات الجماهيرية إلى ما سمي بالإن جي أووز، وإذا بدكم الإصطلاح الأكثر صحة فهوي المصطلح اللي أطلقه الثوريين في أمريكا اللاتينية « كونكور كورابتيد» (المنظمات الفاسدة) وهي واحدة من الأدوات الرئيسية التي أُستعملت من قبل الرأسمالية العالمية في مرحلة الليبرالية الجديدة»

ومن جانب آخر يقول عبد الجواد صالح: "أنا بعتقد بإنوا المجتمع الفلسطيني بعيش مأساة وكارثة، من خلال السماح لبعض المؤسسات الأجنبية إنها تعمل في فلسطين، أنا بإعتقادي إنها في منتهى الخطورة لإنها بتحاول إبعاد الشاب عن قضيته الأساسية (قضية الأرض وقضية الإحتلال)، يعني أصبح هاد الجيل ما بفكر بمواجهة الإحتلال!، بفكر إنوا يعيش وبس، متجاهل قضية التحرر وبناء الإستقلال الفلسطيني. هناك عملية تظليل كاملة، هاي المؤسسات الأمريكية التي بتقوم بهذا العمل عمالها بتساعد على تغريب الناس عن قضاياها الخاصة والوطنية والحقيقية والواقعية»

10-العمل التطوعي والعمل الأهلي

يرى البعض في العمل الأهلي حالة تطوعية، وهو كذلك إذا أُستند للمفهوم الحقيقي للتطوع، بمعنى إذا تحول العمل الأهلي من العمل التكنوقراطي إلى حركة إجتماعية تسعى لتحقيق أهداف معينة، بمعنى أن هناك ثلاث حلقات مترابطة يجب أن يتحلى بها المجتمع المدني، وهي: وجود مجتمع سياسي واضح ومؤثر وذو بنية قادرة على التعبئة والتحريك، ووجود منظمات أهلية تشكل بيوتاً للخبرة والمعلومات، تتوسطهما حركات إجتماعية ذات مطالب محددة في جانب محدد، هنا يتكامل الفعل البشري مع المعرفة والتنظيم، ويُنتِج أعمالاً ذات تأثير تغييري في المجتمع.

حتى الآن لا نجد مثل هذا النموذج الترابطي في عملنا الفلسطيني!، إننا أمام جزر مفككة من المنظمات الأهلية، وحالة غياب للأحزاب السياسية عن قضايا المجتمع، كما أننا أمام تخبط في بناء حركات إجتماعية غير قادرة على الإمتداد الشعبي، حتى نماذج المقاومة الشعبية في بلعين ونعلين والنبي صالح والمعصرة وغيرها بالرغم من دورها وإنجازاتها الوطنية إلاّ أنها ما زالت غير قادرة على أن تصبح حالة تطوعية شاملة جغرافياً وبشرياً، ويعود ذلك إلى عدم جدية تعامل الأحزاب السياسية مع هذه الظاهرة وتثميرها إجتماعياً بما يخلق وعياً جمعياً حقيقياً بمقاومة شعبية قادرة على أن تصبح سلوكاً عفوياً في أوساط الناس.

إننا الآن أمام صورة مشوهة للعمل التطوعي الذي لا يستند إلى قوة جماهيرية، ولا إلى أهداف محددة من قبل أصحاب الحاجة، نحن أمام مشاريع ممولة يتم فيها إستخدام جهد المستهدفين كفئات متناثرة ودون أن يكون العائد الإجتماعي عاماً وشاملاً، هذا يقتضي البحث عن سبل للخروج من حالة المستجيب السلبي للتمويل وللأحداث معاً وإستعادة المبادرة الشعبية، نعم إنها مهمة صعبة ولكنها تستحق.

وحتى لا نكون مجرد مقيّمين للتجربة من بُعد، لا بد من إطلالة على جهود من صنعوا بدايات التجربة أو خاضوا غمارها فما يقولونه شهادة للتاريخ، وتوثيق لجهد شعبي مميز، تم وأده في غفلة من الزمن السياسي الذي إرتضى بالمعروض ولم يواجه التحديات بإرادة حقيقية تحافظ على التراكم والإنجاز الذي تم تحقيقه في تلك الفترة.

ملخص المقابلات الشفهية

13-1. إبراهيم اللدعة

تاريخ إجراء المقابلة: 03/05/2010

أجرى المقابلة: حسين يحيى

تفريغ وطباعة: محمد مصلح

تحرير وتنقيح: جبريل جحشان

طبيب مبدع ومتقدم في مهنته، صاحب رؤية وفكر، من مواليد يافا ومقيم في رام الله، أحياناً متواجد بين ألمانيا وفلسطين، أدار أكثر من مستشفى في ألمانيا، كما أدار إتحاد لجان العمل الصحي كمتطوع لأكثر من عام. بعد دراسة الطب والتخصص في ألمانيا، كان من الطبيعي أن يعود إلى الوطن رغم عدم حصوله على جمع الشمل، كان ذلك في سنة 1978 حيث شعر بنقص شديد في الوضع الصحي بفلسطين، حيث أن الإحتلال ما كان ليهتم بالوضع الصحي والتعليم، كان تفكيره كيف يساعد الشعب؟.

يقول الطبيب: إن المجتمع الذي يحصد دون أن يزرع، ويبني دون أن يعرق لا يملك العطاء، شعب لا يستطيع إطعام نفسه ومعتمد على غيره حتى في الرواتب، من الصعب أن تطلب من فرد فيه أن يقوم بعمل تطوعي، ففاقد الشيء لا يعطيه، والقضية تربوية من الأساس. كان أحد إقتراحاتي سنة 95 في المجلس التشريعي الأول أن يسن قانون خدمة وطنية، شبان وشابات يعملون سنة كاملة في خدمة مجتمعهم، يشتغلوا بالأراضي ليحسنوها، يعيشوا مع المجتمع القروي ويبنوا الخدمات في القرية، لدينا ميزات كشعب فلسطيني وظهرت بوضوح وخاصة في الإنتفاضة الأولى، كان التضامن والتكافل المجتمعي قوي جداً، وإستطعنا أن نصمد، الفرد الفلسطيني أظهر أنه إيجابي ومستعد أن يعطي.

أنا فخور بما قدمه الشباب والشابات الفلسطينيات لموضوعي خاصة، أي موضوع الأنف والحنجرة، عندما رجعت للبلاد كنا 13 أخصائي أنف وحنجرة في الضفة والقطاع، ولما رجعت عام 2007 صارالعدد 75 أخصائي، وهذا تم طبعاً بإجتهادات عدة أشخاص ولجان طبية، بدأنا أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات، كنا نخرج كل جمعة عدة أطباء من تخصصات مختلفة: منها طبيب العظام، وطبيب النساء والولادة،

والطبيب الباطني، وطبيب الأنف والحنجرة إلى القرى والغور وجبل الخليل حتى وصلنا إلى علاقات متينة مع الناس، وإستمرت لليوم مع أهلنا بالجولان، مجدل شمس لم يكن لديهم مكان ولادة، كانوا يذهبون إلى صفد والطريق كتير صعبة وخاصة أيام الشتاء، كنت مدير مستشفى المطلع فقمنا بتجهيز غرفة ولادة هناك.

العمل التطوعي يجب أن يقوم على الإجتهادات الشخصية أو المحلية، أنا لا أؤمن بأعمال تطوعية تدعم من الخارج، كلٌ لديه أجندة خاصة في تمويله، هدفهم الأساسي هو تثبيت إسرائيل في المنطقة وتحييد الفرد الفلسطيني وإدخال الهزيمة إلى نفسه، وإحتلال الشعب، إحتلال الفرد وإدخال الهزيمة في عقل الناس.

شروطهم أن توزع الأموال بين الإسرائيلي والغربي ويرموا للفلسطيني الفتات مقابل توقيعه على مشروع مشترك، جرى تهميش للأكاديمي الفلسطيني وهناك أمثال كثيرة على ذلك، منها: أنه عند بناء المجلس الطبي الفلسطيني من تخصصات مختلفة وحسب مقدرتنا، أُقترح علينا التعاون مع برنامج بيرس للسلام، لما أسست أول قسم أنف وحنجرة في مستشفى المطلع واجهت هذا، فكان حلها عبر لجنة أطباء من الأردن من الأردنيين فاستمرينا وشكرناهم.

إستدعانا الإحتلال في أول الثمانينات فرداً فرداً إلى بيت إيل وسألونا عن عملنا، كان جوابنا نحن نخدم المحتاجين ونشرح لهم عن الوضع الصحي، عن النظافة، عن الصحة الأولية عن التطعيم، لأننا لا نرى أحداً يقوم بها، وهذا الشيء كانت تفتقر له كل القرى في الضفة، فبدأوا بوضع العقبات في وجوهنا.

في الإنتفاضة الأولى كان هناك ترابط وتعاون بين الناس، عندما كنا نذهب للقرية يُعلن الناس أن الأطباء قادمون، كل طبيب أخصائي كان له غرفة، بعد فحص المرضى والانتهاء منه كنا نعقد بعض المحاضرات عن التوعية الصحية.

بعد إنهيار المعسكر الإشتراكي حصل تغير جذري عالمي، باتت المادة كل شيء، وأصبح القانون الرأسمالي هو القانون السائد وليس الإنسان، برز خلالها في مجتمعنا أناس كُثر إعتقدوا أن هناك مجال للتعايش، أو حاولوا أن يجدوا طرقاً للتعايش، ظهر من التجربة أن هذا مؤقت ليس له جذور، فالعدو غير معني بأي نوع من التعايش.

ما عنيت، هو أن العمل التطوعي هو تنظيم طوعي (لا رئيس ولا مرؤوس) هو عمل تلقائي، هو إيمان الفرد بالعطاء، كثير من الناس حاولوا أن يجيروا العمل التطوعي لمصلحتهم، لكن الذي ساد هو روح الجماعة، وفي فترة ما بعد أوسلو تفككت هذه الروح.

أتصور أن يكون هناك دور لوزارة التربية والتعليم في التربية على التطوع خاصة أننا تحت الإحتلال، يجب أن يكون هناك برنامج تعليمي يوضح للشباب والشابات أنهم لا يعيشون في فراغ، مع أني ضد أي ترابط غير مدروس بين شبابنا وشاباتنا وبين شباب وشابات الخارج، التبادل بين طلاب أوروبيين وطلاب فلسطينيين مرحب به عندما يكون لدينا دولتنا المستقلة، هذا الشعور يجب أن تعطيه للطالب في المدرسة.

يجب تعليم الطفل على العطاء والتضامن مع المجتمع، أن يحترم ذاته ويحترم زميله، من هذه البذور ينبت المجتمع الصحي، بحيث يشعر الطفل أنه هو مرتبط بالمجتمع وليس بعشيرته.

لا تناقض بين العمل التطوعي والخدمة الوطنية، إنهما مكملان لبعضهما، المهم هو الهدف من ذلك. ومن الطبيعي أن يحتاج العمل التطوعي أموالاً، سواءً لشراء المواد أو المواصلات وغيره، لذلك لا بد من صندوق لتأمين إحتياجاته، هذا يساعد على تنظيم العمل التطوعي وعلى إستمراريته، شرط إستثناء العمل المأجور والتمويل المشروط بأجندات غير وطنية.

الليبرالية الجديدة ولّدت الإنهيار، وإذا لم نستطع بناء نفسنا بنفسنا فالإنهيار طبيعي، عندما لا تدفع لنا أوروبا ستكون لدينا كارثة، فبدل الأبراج يجب أن تكون المصانع والمزارع ... لا أن نخلع الزيتون، يجب الإستثمار في الأرض، إذا أردت مقاطعة الإنتاج الإسرائيلي وإنتاج المستوطنة، إخلق أولاً بديل عنه، ما يجري من تعويض عن الواردات غير كاف، يجب سن قوانين لحماية المنتج الوطني.

أملي عميق بالإنسان الفلسطيني، بإنسانية الإنسان الفلسطيني، أنا متأكد أن هذا الإنسان لا يمكن أن يركع لفكر العبودية والإحتلال والعنصرية، نحن منفتحين نحب جميع الشعوب، نحترم أنفسنا ونحترم جميع الشعوب، ونتعايش مع كل شخص يريد أن يتعايش معنا بالتساوي، لكن نرفض كل شخص يحاول إستغلالنا وعبوديتنا، هذا رفضه أجدادنا وأباؤنا وأنا وإن شاء الله أحفادي سيرفضوه.

13-2. أسامة البسط

تاريخ إجراء المقابلة: 18/04/2010
أجرى المقابلة: رنا بكير
تفريغ وطباعة: ضياء الزبن
تحرير وتنقيح: جبريل جحشان

أسامة جميل البسط من مخيم الأمعري حالياً ومن اللد ، يحمل ماجستير من جامعة بيرزيت في العلاقات الدولية، يعمل حالياً في ديوان الرئاسة مساعداً لرئيس الديوان لتنسيق السياسات.

يتحدث أسامة البسط: العمل التطوعي يشكل رأس المال الإجتماعي في الدرجة الأولى، ونحن في ظروف الإحتلال وفي غياب البنية الإقتصادية في عملية البناء الوطني كان العمل التطوعي عبارة عن تعبيرات سياسية وإقتصادية وإجتماعية في كل محتواه، وكان جزءً من منظومة العمل ككل. ففي مراحل مبكرة في السبعينات تحديداً بدأت طلائع مجموعات العمل التطوعي وكان أول مشروع دعت له بناء بيت هُدِم من قبل الإحتلال الإسرائيلي في البيرة، ولعبت مكتبة بلدية البيرة في ذلك الوقت دوراً مهماً في إحتواء هذه الطلائع، عبر مشاركتها في برامج ثقافية أو إجتماعية وبالتالي تعزز مفهوم العمل التطوعي في حينه. أيضا فصائل العمل الوطني كلها وبدون إستثناء كانت ترى في العمل التطوعي شكل من المقاومة للإحتلال والذي كان يقمع في حينه، كانت مساحة العلاقة الوطنية واسعة جداً في إطار ديمقراطي وفي إطار وطني، الجبهة الوطنية الفلسطينية و فيما بعد لجنة التوجيه الوطني عملت على تعزيز القيم الوطنية والديمقراطية بين فصائل العمل الوطني ككل.

تعزز مضمون العمل التطوعي كمضمون إجتماعي ومضمون سياسي بكل الأبعاد وإستمرت هذه الظاهرة الخلاّقة حتى نهاية الثمانينات إلى حين بداية الإنتفاضة الأولى، التي طورت أشكالاً كانت مستوحاة من طبيعة الأسسس اللي رسخها العمل التطوعي في مختلف الأماكن في المخيمات في القرى في المدن في غزة، كانت حملات عمل تطوعي، من خلال: التعليم الشعبي نتيجة إغلاق الجامعات والمدارس، في عملية

رفع المعاناة نتيجة الحصارات ومنع التجول (دخول مناطق حظر التجول لتوزيع مساعدات عينية للسكان).

في ظل غياب هذه القيم تولد شرخ في المفهوم الوحدوي والعلاقات الوطنية، كنا عندما ندخل قرية أو مخيماً نشاهد الناس تخرج لتكون جزءً من العمل، في الإنتفاضة الأولى عندما كنا نوزع مساعدات، كانت كثير من العائلات تقول لسنا محتاجين أعطوا جيرانا، هذه القيم التي ترسخت ليست وليدة هالصدفة، إنها وليدة تراث تاريخي وطني كان أحد الأسس التي شكلت مضمون العمل التطوعي ببعده الإجتماعي والسياسي والوطني والإنساني.

بدايتي مع التطوع أنني كنت أتردد على مكتبة البيرة بإستمرار، وكنت نشيطاً على مستوى الحركة الطلابية الوطنية، لا أخفي أنه في بعض الأحيان حاولت بعض القوى اليسارية قطف التجربة وتغذيتها، ولكن الأصل كان للقاعدة الشعبية للعمل التطوعي المكونة من مختلف التيارات السياسية. كنا من النواة الأولى اللي شكلت مجموعات العمل التطوعي، أغلب الذين كانوا من النواة الرئيسية يتمتعون الآن بمواقع سياسية ورسمية متقدمة، في مراحل السبعينات وحتى الثمانينات كانت الظاهرة بعيدة عن أشكال الإستقطاب والإستثمار السياسي والتنظيمي.

في فتح شكلنا إطاراً جماهيرياً علنياً في الثمانينات هو " الشبيبة الفتحاوية "، صدر قانون بحظرها في بداية الإنتفاضة الأولى، كان الإستثمار المركزي أن نبني علاقة وطيدة شاملة مع المجتمع الفلسطيني، هنا كان سر نجاح الإنتفاضة الأولى بكل قوتها وزخمها على المستوى المحلي والدولي، لقد شارك فيها كل فئات المجتمع بكل شرائحه ومكوناته حيث كانت المواجهة قائمة وشاملة و واسعة في كل جوانب المجتمع الفلسطيني.

جاء مهرجان الناصرة في مرحلة لاحقة لنشاط العمل التطوعي، لقد إنتقلت ثقافة العمل التطوعي وثقافة العمل الوطني إلى الناصرة والداخل، العمل التطوعي في الناصرة كان بعد 78 في حين بدأنا في مراحل مبكرة.

لأول مرة كانت تترسخ قيم إجتماعية وديمقراطية إنسانية بكل أبعادها، كانت المرأة تشارك تماماً كالرجل، كانت المشاركة لا تقل أهمية عن مشاركة الرجل، وفي بعض الأحيان أكبر، وجود

الأخوات في العمل التطوعي أضفى بعداً إجتماعياً مريحاً للعلاقات الإجتماعية في القرى وفي المخيمات، فكانت الأخت تدخل البيت بكل أريحية وتساعد أهله.

العمل التطوعي كان يشابه البندقية في تأثيرها على العدو، في الإنتفاضة الأولى كان الإحتلال يغلق المحلات التجارية بالقوة، فصار التجار يفتحون محلاتهم ويذهبون لبيوتهم دون خوف من سرقة أو نهب، كانت مجموعات العمل التطوعي الوطني تحرسها، تعرضنا بإستمرار لحملات ملاحقة، على سبيل المثال: في الناصرة لما كنا نذهب للتطوع كانت الشرطة وحرس الحدود يبحثون عنا، كنا نتعرض للغاز والإعتقال خلال مواجهات الدفاع عن أرض ينوي الإحتلال مصادرتها.

الآن أقول بمرارة أننا نفتقد هذه القيم والمفاهيم، والسبب غياب العمل التطوعي، لقد جرى تحول في التوجهات مع دخول المنظمات الأهلية، وتوسع أجندة الممولين عبر مشاريع شكلية لا تمس البنية التحتية للمجتمع الفلسطيني. هذا لم يساعد على تعزيز وتطوير القيم، بل ساهمت في ضربها في كثير من الجوانب، نحن بحاجة إلى إعادة تسويق، دور العمل الأهلي الفلسطيني بحاجة إلى إعادة ترتيب أجندته الوطنية والإجتماعية بشكل سليم ليتلائم مع المتطلبات الإجتماعية والسياسية للمجتمع الفلسطيني.

لا يزال في الجامعات أمل وفي الحركة الطلابية وبعض القوى الوطنية في هذا الإتجاه، خاصة في مقاومة الإستيطان أو مصادرة الأرض، لا يزال هناك هبات وطنية لكنها ليست بالمستوى المطلوب، الظروف الإقتصادية: الحصار والإحتلال والتحولات السياسية والبنيوية في المجتمع الفلسطيني أثرت على الناس، الناس تبحث عن عمل وبالتالي صارت القيمة الحقيقية للعمل التطوعي بمضمونه السابق مفقودة في طبيعة فهم العضوية في مؤسسات المجتمع المدني.

نحن بحاجة إلى خطة، كنت أفكر أنه طالما نحن نفتقد كسلطة وموضوع الخدمة العسكرية لماذا لا نوجد الخدمة الإجتماعية أو بمعنى آخر " الخدمة الوطنية "، حيث يتأصل هاد البعد ويصبح جزءً من القيمة الرسمية، نعيدها إلى أصولها وبالتالي نفرض قانون الخدمة المدنية بكل أبعاده، يعني " قانون التطوع " بدل الخدمة العسكرية، هناك ضرورة أن نبدأ على مستويات مبكرة من المدارس وليس فقط في الجامعات.

13-3. بسام الصالحي

تاريخ إجراء المقابلة: 02/05/2010

أجرى المقابلة: رنا بكير

تفريغ وطباعة: صابرين نصار

تحرير وتنقيح: حسين يحيى

ولد في مخيم الأمعري حيث ينحدر من مدينة اللد المهجرة، بدأت مشاركته التطوعية عندما كان طالباً على مقاعد الدراسة، التحق بجامعة بيرزيت حيث تم إنتخابه رئيساً لمجلس طلبتها بين عامي 1979 - 1981 وتخرج منها بدرجة الماجستير في الدراسات الدولية، أعتقل أكثر من مرة لقيادته الحركة الطلابية ضد إتفاقية كامب ديفيد حيث فرضت عليه الإقامة الجبرية، وكان عضواً في لجنة التوجيه الوطني، يشغل حالياً منصب الأمين العام لحزب الشعب الفلسطيني (الشيوعي سابقاً)، ونائب في المجلس التشريعي.

يقول بسّام الصالحي: العمل التطوعي في فلسطين كظاهرة بهذا الإسم هي ظاهرة في أواسط السبعينات بشكل خاص، لكن الظاهرة بشكل عام هي ظاهرة ممتدة في التاريخ الفلسطيني، لأنه كان هناك ما يسمى بالعونة في التراث والسلوك الفلسطيني، والتي كانت تعكس شكل من أشكال العمل التطوعي، حيث يباشر الناس بمساعدة بعضهم البعض في المواسم الزراعية بشكل خاص، أو في أي جوانب من الأنشطة ذات المضمون من التكافل الإجتماعي وغيره، وبالتالي التاريخ الفلسطيني حافل بظواهر متنوعة للعونة وللعمل التطوعي، ولكن بالتعريف المحدد الذي بات يصلح عليه كعمل تطوعي هي ظاهرة شهدتها الأراضي الفلسطينية في أواسط السبعينات أو بالأحرى في(72 - 73) ثم تنامت بشكل كبير في أواخر السبعينات.

كان هناك تنسيق فيما بين المجموعات التطوعية، بمعنى إنو كان هناك مجموعة بدأت تكون مجموعة ثابتة للعمل التطوعي، بالمناسبة يعني من أبرز أشخاصها: الرفيق أحمد سعدات مثلاً كان عضو نشط في العمل التطوعي، وكانت الرفيقة الراحلة مها نصار، وكان أيضا الدكتور سليم تماري، الدكتور منير فاشه، كان محرم البرغوثي،

كان رياض العبد رشيد (كان هو مبعد من منطقة بيرزيت)، كان كذلك سهام البرغوثي وزيرة الثقافة الحالية، سهير البرغوثي وعزمي الشعيبي وفلورا لحام، كان هؤلاء يشكلو المجموعة المنتظمة عملياً للعمل التطوعي، وكانت هذه المجموعة تزيد أو تنقص، لكن هناك مجموعة ثابتة، وكان هناك إتفاق إنو يكون العمل التطوعي يوم الجمعة بشكل عام، وأيضاً يوم الأربعاء أو يوم آخر بالأسبوع كان يكون هناك لقاء ثقافي في بلدية البيرة، وكان يساعد في هذا الأخ/ سليم البسط وغيره، ينحصر هذا اللقاء في مناقشة ثقافية ثم أيضاً بالترابط معها، كان هناك يعني تنسيق للنشاط اللاحق يوم الجمعة.

كان العمل التطوعي ظاهرة غريبة بالنسبة للمجتمع المحلي في البداية، والغرابة فيها أولا: إنو هناك عمل تطوعي يُمَارس من شباب وفتيات، هذا كان ربما عند البعض شيء غريب، أن يكون هناك في نفس التجمع موجودين شباب وفتيات، لكن أيضا كان سلوك هذه المجموعات سلوك مقدر ومحترم من المجتمع، وبالتالي البعض ربما كان ينظر بإستغراب لهاي الظاهرة، لكن التجربة نفسها في العمل التطوعي زكّت أن هذا مظهر حضاري ومظهر محترم وسلوك مقبول، وبالتالي بدأ المجتمع يعتاد على أن المجموعات العمل التطوعي هي من شباب وفتيات، وهناك بينهم قيمة عليا تتغلب على أية ظنون أو سوء فهم لدى المحيط المجتمعي. كانت تذهب مجموعة للعمل التطوعي من 15 - 20 حسب الظروف، ولكن فور أن يبدأ العمل يصبح المجتمع المحلي منخرط أيضاً في العمل نفسه، وبالتالي يتحول العدد إلى عشرات وأحيانا حتى مئات، أذكر مثلاً: في مخيم الجلزون، دائماً كانو أهل الشارع المقصود بالعمل التطوعي يندمجو في العمل التطوعي فور أن يرو بداية هذا العمل، وهذا الإندماج كان من خلال المشاركة المباشرة من الشباب، يعني في نفس نوع العمل، وأيضاً من العائلات التي كانت كل منها يسهم بما يراه مناسب، البيئة المجتمعية تنخرط في هذا العمل التطوعي وتحس بأنه هو فائدة ومصلحة لها.

الفلسفة كانت بالأساس بالنسبة لكل مجموعات العمل التطوعي، هي: أن الخدمات عملياً معطلة بسبب ممارسات الإحتلال، وأن هذه الخدمات لا توجد أي مصلحة للإحتلال في أن يقدمها على كل الأصعدة، ولذلك التقدم بإتجاه تقديم هذه الخدمات أصبحت جزء من فلسفة صمود

المجتمع، وكانت بدأت تظهر الآراء والمفاهيم التي تدعو إلى تعزيز الصمود عبر التنمية، وعبر تعزيز بعض الخدمات الذاتية للجمهور وللناس، ومن هذه الزاوية في إعتقادي كان هناك أهمية كبيرة لهذا طبعاً، أعطى دفعة كبيرة للعمل التطوعي.

المخيمات التي دأبت على إقامتها بلدية الناصرة برئاسة الرفيق الراحل توفيق زياد، الذي أعطى دفعة كبيرة جداً لجعل العمل التطوعي يتحول من مفهوم العشرات والمئات إلى مفهوم الالاف، وإلى أن تكون نتائج العمل التطوعي ليست فقط مشاريع صغيرة ولكن مشاريع كبيرة، وتصبح جزء من خطة بلدية الناصرة، وعلى أساس ذلك نحن إتفقنا مع بلدية رام الله على إقامة مخيم شبيه بمخيم الناصرة، وأقيم لعدة أيام وتدخل الإحتلال لمنعه، وحصلت مجابهة كبيرة بين هذا المخيم وبين الإحتلال، وبعد ذلك طبعاً الإحتلال الإسرائيلي أجهض كل هذه المخيمات التي حاولت البلديات أن تنظمها، أيضا كان هناك محاولة في الخليل وفي نابلس وفي عدد من البلديات، لكن الإحتلال تنبه لمعنى هذه الظاهرة بشكل أكبر وقاومها بالوسائل العسكرية المعتادة.

نعم كان هناك قوتين أو ثلاثة أساسيات (الحزب الشيوعي أو حزب الشعب حالياً، الجبهة الشعبية، الجبهة الديمقراطية) هذه هي الأطراف التي رعت هذه الحالة (العمل التطوعي)، وكان هناك مشاركات طبعاً، المشاركة الأكبر للحزب الشيوعي وللجبهة الشعبية، وثم بشكل فردي كان هناك مساهمات من أوساط من أعضاء حركة فتح الذين كانوا أيضا ينجذبو لهذا النوع من النشاط وأصبحوا جزء منه، أذكر منهم مثلاً: أحمد أبو غوش وأخرين اللي كانوا أيضا جزء من هذه الظاهرة، لكن بالأساس قوى اليسار الفلسطيني كانت هي صاحبة هذا النمط من العمل الشعبي والجماهيري. وفيما بعد تم تبنيه في جامعة بيرزيت، في البداية كنشاط طلابي، ثم فيما بعد أصبح جزء من المتطلبات الطلابية للتخرج من الجامعة، وبطبيعة الحال حركة فتح من خلال الحركة الطلابية فيما بعد ونشوء الشبيبة الطلابية أصبحت أيضا جزء من هذه الظاهرة، . عندما كانت جامعة بيرزيت وكان يرأس الحركة الطلابية فيها الشيوعيين بتحالف مع الجبهة الشعبية ومع فتح ومع آخرين، تم الإنتظام في مشاريع العمل التطوعي من خلال مجالس الطلبة، ثم من خلال مخيمات الناصرة، ثم بعد ذلك من خلال تأسيس

اللجنة العليا للعمل التطوعي، كان رئيسها بالإنتخاب في حينه كان محرم البرغوثي الذي كان ناشط أساسي في حزب الشعب الفلسطيني.

بدون شك هذه الظاهرة كان ينموا إلى جانبها مفاهيم ذات علاقة في التنمية، أبرزها كان النقاش الذي قاده في حينه الملتقى العربي في القدس، وكان يرأسه الصديق الكبير التقدمي الأخ/ ابراهيم الدقاق الذي كان هو ساحة تطوير لمفاهيم فيما سمي في حينه " التنمية من أجل الصمود ". وظهر مفهوم " التنمية من أجل الصمود " بإعتبار أن دف التنمية الأساسي هو الصمود وليس النمو الإقتصادي وتوسيع الإستثمارات، وأعتقد أن هذا المفهوم كان صحيحاً، وهو لا يزال صحيحاً، وأي أوهام أبعد من ذلك يمكن أن تشكل أو يمكن أن تصطدم بالواقع، وترتد مرة أخرى لظواهر مر فيها الشعب الفلسطيني، وأريد أن أشير هنا أيضاً أنه على أساس هذا المفهوم بدأ يحصل تخصص في العمل التطوعي فيما بعد، يعني مثلاً الحزب الشيوعي اللي كان هو رائد أساسي في العمل التطوعي، هو أيضا كان رائد أساسي في نشوء منظمات بدأت تتخصص أكثر في مجالاتها كعمل تطوعي، مثلاً: كالإغاثة الطبية التي أسسها حزب الشعب الفلسطيني من خلال مجموعة كبيرة من الأطباء خريجين الدول الاشتراكية، الذين عادوا وعملوا وبدأوا يمارسوا عمل تطوعي طبي في البداية بالتنسيق مع منظمات الحزب في القرى وفي الأماكن المهمشة وغيره، ثم فيما بعد تطورت هذه الظاهرة ونمت بإستمرار، نفس الشيء حصل مع الإغاثة الزراعية، نفس الشيء حصل مع الهيدرولوجيين الذين عملوا في مجال المياه في أواخر السبعينات، وبالإستفادة من التجربة نفسها أصبح ينشأ لدينا ما بات يسمى " مؤسسات العمل الأهلي "، ولكن البدايات الأولى كانت بالأساس إمتداد لظاهرة العمل التطوعي التي عكست كما قلت مشاركة تنظيمية للجمهور ورؤية فكرية، ولكن مع الأسف أستطيع القول بأنه بعض الظواهر الإيجابية في العمل التطوعي تراجعت مع بعض المفاهيم التي إكتسبها عمل المؤسسات، والتي بات الجهد التطوعي محدود في نشاطها، ثم بدأ يصبح لدى بعضها ميل لنوع من البيروقراطية في العمل.

هناك تراجع كبير للأسف، موضوع العمل التطوعي مش موضوع ظاهرة منعزلة أو ظاهرة خاصة بالحالة التي نتحدث عنها؟!, لا ... إحنا

شهدنا في فترات متنوعة إنتشار هائل لهذا المفهوم، مثلاً: في الإنتفاضة الأولى الكبرى كان هناك اللجان الشعبية التي تشكلت، هي وضعت لنفسها مهام إلى جانب طابعها الكفاحي المباشر ضد الإحتلال سواءً الاعتصامات والمظاهرات والمواجهات المباشرة، كان هناك مهام ذات طابع الإهتمام بالتكافل الاجتماعي، الإهتمام في التعليم، مثلاً: أذكر عندما إشتدت الحملة الإسرائيلية وأغلقت المدارس، التعليم الشعبي هو ظاهرة جماعية للعمل التطوعي الفلسطيني، حيث إنو كل مدرس وكل طالب جامعي وكل مثقف تجند من أجل أن يعلم في بيته، حتى لا يحصل ما هدف إليه الإحتلال من تعزيز للأمية وللضعف العلمي، عندما أغلقت المدارس كان هناك ظواهر يعني عديدة تشير إلى أن الإستعداد الطوعي هائل وكبير، وطبعاً جزء منه الإستعداد الوطني الكفاحي عند آلاف المناضلين الذين أستشهدوا أو جرحوا أو أعتقلوا، ولم يكن لأي منهم سوى أن التطوع في كل شيء بما في ذلك في روحه من أجل خدمة الوطن. اليوم المفهوم العام للإستعداد الذاتي وللتطوع يحتاج إلى بلورة فكرية كبيرة جداً، وقناعة فكرية كبيرة خصوصاً في ظل إستشراء مظاهر سلبية عديدة: المؤسسات المختلفة التي كان العمل التطوعي المدخل لتشكيلها ونشوئها، باتت يعني تعتمد العمل بأجر وبشكل كبير، وتصبح مشاريعها جزء من مشاريع بالغالب ذات تمويل، وبالتالي البعد التطوعي فيها ضئيل ومحدود.

بعتقد إنو الشباب في فلسطين هم رواد المرحلة القادمة، وهؤلاء الشباب يجب أن تسهل الفرص أمامهم كي يحملوا الراية، وأن نكون قادرين على الإقتناع والثقة به، وأعتقد بأنه كل شيء سيحصل في المجتمع الفلسطيني لن يكون بتكرار نفس الطريقة لما كان في السابق، ولكن المطلوب هو أن نبرز جوهر الأمور السابقة الصحيحة والايجابية، أن تُقدم حتى يمكن أن يبنى عليها الشكل الجديد, أنا أؤمن تماماً أن العمل التطوعي في السابق كان ظاهرة وميزة للشباب التقدمي ونظرة للتغيير, آمل أن يكون هناك هذا الجوهر للتغيير وللنظرة التقدمية في الإبداعات الجديدة للشباب، وليس بالضرورة أنها ستكون بنفس الأشكال ولكن الجوهر، أؤمن بإنو المستقبل للتغير التقدمي الإبداعي للشباب في فلسطين، وأتمنى أن يكونوا قادرين وسيكونوا قادرين على إنجاز أفضل مما أنجز في السابق.

13-4. تيسير العاروري

تاريخ إجراء المقابلة: 22/08/2013

أجرى المقابلة: حسين يحيى

تفريغ وطباعة: رامي أبو قويدر

تحرير وتنقيح: جبريل جحشان

فيزيائي صارم، لكنه غير جامد في فهمه، فالفيزياء بما هي علم الطبيعة جعلته يفكر بعلاقاتها المتشعبة والمتداخلة، فكيف إذا ما إرتبطت بفهم جدلي للواقع؟، هنا يصبح الذهن أكثر توقداً وقدرة على تصفية ذاته وتوضيح الرؤية، إنه خريج الإتحاد السوفياتي، ومدرس في جامعة بيرزيت ومناضل في الجبهة الوطنية، ومبعداً في الإنتفاضة الأولى، نشط في الحياة السياسية والإجتماعية ولا يزال، ويقول عن نفسه: " إنني مسكون بالعمل التطوعي وهو أكثر شيء يجذبني، أكثر مما يجذب الضوء الفراش ".

يقول تيسير عاروري: تجربه العمل التطوعي في مختلف أشكاله وتعبيراته كما جرت في أوائل السبعينات ولاحقاً حتى التسعينات تجربة نموذجيه في العالم كله، كبار المنظرين للفكر الماركسي يعتبرون تجربة اللجان الشعبيه في الإنتفاضه الأولى التي قامت على العمل التطوعي توازي تماماً تجربه كومونة باريس عام 1870، هذا ليس إنشاء إنما بناء على مؤتمر أنا حضرته في السويد حول الديمقراطيه التشاركية، الديمقراطيه التي تقوم على المساهمه الحقيقيه للجماهير في صنع قرارها على كافه المستويات، وأول من أشار إليها بملامح عام هي روزا لوكسبورج.

بداية العمل التطوعي كان من روادها منير فاشه وعبد الجواد صالح وإحسان علاء الدين، بدأت الفكره تتبلور في لقاءات لهم في مكتبه بلدية البيره في أواخر 72، كل مرة يكلف شخص بعرض كتاب، أو نقاش لعرض فكرة معينة، كانوا بفتشوا عن دور إلهم في مقاومه الإحتلال بطرق يستطيعوها.

كانت البدايه في منطقه رام الله والبيرة، أنا إلتحقت بهم في آذار 73 بعد ما تخرجت من الجامعه، دعوني إلى إجتماع فإلتحقت بهم، بدأت تنموا

هذه الحركه، لكن التطور أو القفزة النوعيه الكبيره حصلت في 78-79 في بيرزيت، طلبنا أن يكون متطلباً للتخرج هذا لعب دوراً كبيراً في إنتشار العمل التطوعي، في 78 تشكل إتحاد لجان العمل التطوعي الفلسطيني، وبالتالي صار أسهل على إنتشار هذه الظاهره في البلاد كلها من رفح إلى جنين، وصل عدد لجان العمل التطوعي المنضوية تحت إتحاد لجان العمل التطوعي الذي كان يرأسه محرم البرغوثي 173 لجنه مجموع أعضائها حوالي 18000الف، بعدها شعر البعض بتشبع، نشأ بعدها إتحادات نوعية تطوعية ضمن إطار التخصصية، في 80 -81 مثلاً: نشأ إتحاد لجان الإغاثه الطبية التي بدأها مجموعة من الأطباء في المقاصد، ثم إنضم الهم ممرضين وممرضات، كانوا يطلعوا على القرى والمخيمات كل يوم جمعة أو أحد يقدموا خدمتهم الطبية، وبنفس الوقت عملوا إتصالاتهم مع مصانع الأدوية اللي بدورها كانت توفر الأدوية ليوزعوها مجاناً ... فكانت شكل متميز للعمل التطوعي.

لاحظ أن العمل التطوعي إختلف من الشكل العام والبسيط إلى الأشكال المتخصصه في الطب و الزراعة، إندماج الناس في النشاط الجماهيري هو الذي أسس للإنتفاضة الأولى، الخبرة بدأت تتراكم ونضجت الظروف في البلاد على صعيد البنية التنظيمية للجماهير من خلال الأشكال المختلفه للعمل التطوعي اللي كانلها قوتها وتأثيرها، فبدأت التنظيمات الجماهيرية بالتنافس، كان هناك 4 قوى سياسية، أوكي المبادرة الأولى والأقوى كانت للشيوعيين (أصحاب أفكار هذا العمل)، ولكن كان في دور للشعبية والديمقراطية وفتح، صار يقوى هذا-بالمناسبه قبل الإنتفاضه الأولى-صار التنافس في أشكال متشابهة من العمل لإستقطاب الناس، وصار لكل عمل أربع نسخ، فلما بتحكي عن المرأة صار هناك أربع إتحادات خاصة بالتنظيمات اللي كانت موجودة، الإشي الوحيد اللي ما نشقش هوي العمل التطوعي، ولحسن الحظ أن الإنتفاضه الأولى أعادت الناس للوحدة.

في العمل التطوعي كان يشارك الشباب والشابات، في الإنتفاضه الأولى حصل تقسيم للعمل، مثلاً نَقَل المنشورات النساء خاصة البيان أو النداء الأسبوعي، في حين عندما كان مخيم الجلزون سنة 88 تحت منع التجول حوالي شهرين، كان تزويدهم بالإحيتاجات في الليل طبعاً من

قبل شباب. بدأت قياده تونس بدءً من نيسان 88 بمضايقة الإنتفاضه حيث كانت التعليمات من القياده في تونس: أن النداء يجب أن يوافق عليه من تونس قبل إصداره، وهذا أدى إلى خلل واضح في الأداء الإنتفاضي، حيث غابت معالجات إحتياجات الناس لصالح تثمير الإنتفاضة سياسياً.

مع تعطيل الإحتلال للمدارس نشأ التعليم البيتي، أتذكر أن أولادي الإثنين كانوا يذهبون إلى الصف في الحاره يدرسوا، كان هذا في عام 88. ظلت الجامعات تدفع رواتب موظفيها الأساتذة في جهاز التربية والتعليم إستمرت رواتبهم حتى وهم مضربون، أنشأت منظمة التحرير اللجنه العليا الإنتفاضه، فيها ممثلين عن القوى ولها ميزانيه صرنا أمام مئات آلالاف من الدولارات تدخل أسبوعياً وهنا بدأت بذرة فساد أضعفت الانتفاضة.

أعداء الشعب الفلسطيني المختلفين أدركوا بحكم الإنتفاضه وبنيتها قوة التنظيمات الجماهيرية (عمل تطوعي ونقابات ولجان مرأة و ... الخ) هذا لفت الإنتباه، كان هناك تجربة كبيرة عند أعداء هذا الشعب الحركه الصهيونيه وحلفائها من الأمريكان وغيرهم في إفساد منظمه التحرير بالأموال، لكن الأخطر أكثر هو أن المنظمات الجماهيريه صارت تبحث عن ممولين أجانب وتحولت المنظمات الجماهيرية إلى ما سمي NGO's ، وهذه واحدة من الأدوات الرئيسية التي أستعملت من قبل الرأسمالية العالمية في مرحله الليبرالية الجديدة لتخريب الحركات الشعبية.

مخيمات الناصرة واحدة من المآثر الكبرى لتوفيق زياد، بحكم صلاته مع الحركة التقدمية في العالم، وبإمكانيات البلدية عمل أول مهرجان ضم شبيبه من الشبيبة الشيوعية من معظم الدول الأوروبية ولو بشكل رمزي وشارك شباب وشابات من الضفة، كانت عملية منظمة جداً، هذا أعطى دفعة كبيرة للنشاط التطوعي وفي نشر الفكرة لأنه كان يخلق الحماس والأجواء الثقافيه على هامش وإلى جانب العمل العضلي.

كان العمل التطوعي مقبول جداً، بدليل إنتشار اللجان في القرى، والناس كانت تحس بذلك، فعلى هامشه بنيت رياض أطفال في القرى، برنامج فتح الطرق الزراعية جعل القرية تقدم طلبات لفتحها. كان هناك إنفتاح في الإنتفاضه الأولى، وكان دور المرأة فيها هائلاً.

طبعاً جرى تخريب كل العمل الجماهيري ومنه التطوعي، قدمت وثيقه في مؤتمر نظمه مركز فؤاد نصار بتمويل من روزا لوكسبمورج، حول أثر التمويل في المنظمات الجماهيرية وكيف خربها وحولها إلى NGO's، لما حصل نشطاء المنظمات الجماهيرية من خلال التمويل على إمتيازات، تحولوا إلى بيروقراطية ... فلماذا يتطوع الشباب؟!

لا وصفه سحريه لدي لحل الأزمة القائمة، ربما لدي بعض أفكار أولية، الطريق الوحيد هو أن يأخذ الشباب على عاتقهم وبجرأة تجارب جديده وفق متطلبات الحياة الجديدة من خلال التواصل الاجتماعي، من خلال الإنترنت وتكوين مجموعات شبابيه عندها الجرأة لعمل شيء جديد، الشباب في كل المجتمعات لديه قدرة على الإبداع بأشكال وطرق هي خارج نمط تفكيرنا وجيلنا، إبداع جديد يكون بروح جديدة، يحتاج هذا إلى من يعلق الجرس ... شرط أن نبتعد عن التمويل، ووجود إستعداد للتضحية.

حتى نكون جديين و واقعيين ونبتعد عن الرومانسية، نحتاج إلى آليات تحولها لحركة إجتماعية، يعني أن تقوم وزارة التربيه والتعليم بإلزام طلاب المدارس بعمل تطوعي، مثلاً: الآن في ظل هاد الوضع المترهل للأحزاب السياسية لست متأملاً بإنها تقدر أن تقوم بهذا العمل.

13-5. جمال جمعة

تاريخ إجراء المقابلة: 24/04/2010

أجرى المقابلة: محمود مصلح

تفريغ وطباعة: ضياء الزبن

تحرير وتنقيح: حسين يحيى

من مواليد جبل المكبر في مدينة القدس، إمتهن التدريس لمدة سنة ونصف في مدرسة تل السبع الثانوية في مدينة النقب المحُتل، حيث كانت هذه المرحلة الزمنية نقطة تحول في منهاج حياته وتفكيره وتوجهاته الحياتية والوطنية، نظراً لإدراكه المخطط التربوي في غسل أدمغة الطلاب الفلسطيني داخل الأراضي المحتلة عام 48، فتصدى لهذا المخطط الصهيوني، فتم فصله من السلك التعليمي، وطورد لمدة ثلاث سنوات، يقود حالياً الحملة الشعبية لمقاومة جدار الفصل العنصري والإستيطان.

يقول جمال جمعة: فكرة العمل التطوعي إلها علاقة بالإنتماء، هي إنعكاس أو مرآة لإنتماء الناس إلى القضية العامة، وهاد الحكي هوي البارومیتر خلال الفترات الماضية، إنك تشوف وين الناس من قضيتهم، من خلال: قديش الناس ممكن تشتغل وتعطي للقضية؟، فالعمل التطوعي إلو علاقة عميقة بمفهوم الإنتماء في داخل كل واحد فينا. اليوم بتشوف الوضع مختلف تماماً، تغيرت كل المفاهيم وأصبح مفهوم « العمل التطوعي» مفهوم غريب جداً، وكأنوا صار إشي كمالي، وهاد الحكي بعكس عدم الفهم للعمل التطوعي وعدم مشاركة الناس في العمل التطوعي هو بعكس كمان مدى غربة الناس عن قضيتهم، فبتشعر بإنو الإنتماء اليوم أصبح إنتتماء أقل مما كان عليه في السابق، بديش أقول إنو إنعدم من الناس، الناس ما نعدمش عندها الإنتماء.

القضية مش محددة بقرار بدك تعمل عمل تطوعي، هوي بطلع من وازع داخلي عندك، بتشوف شي لازم ينعمل فبتعملوا، إحنا لما نحكي عن روح الإنتماء، هي الوازع عملياً وراء أي عمل ممكن تقوم فيه في هاد الإتجاه، مثلاً لما كنت أدرس في السبع: أنا ما قررت إني أنا بدي أعمل عمل تطوعي، أنا شوفت في مشكلة، طلاب بعرفوش إشي عن

قضيتهم الفلسطينية، طلاب ممسوحة دماغهم، فبالتالي قلت هلأ لازم تيجي تعطي هدول الطلاب دروس في القضية الفلسطينية، وكمان حتى في بعض منهم ما كانوش يعرفوا يقرؤا ويكتبوا، وكانوا في صف 10/11 فبدينا نعمل دورات تقوية الهم، العمل التطوعي هوي شي إلو علاقة بمدى إنتمائك لمجتمعك وقضيتك، وهاد هوي الوازع وراء أي عمل ممكن تعملوا دون مقابل مادي.

هي كانت ظاهرة واسعة (العمل التطوعي)، كانت جزء أساسي من العمل السياسي ومن العمل الإجتماعي اللي بنقوم فيه سواءً أطر سياسية أو أطر شعبية، بالتالي لما تكون انتي ضمن هذا الإطار ما كنت تكون لحالك، إنتي بتكون ضمن لجنة منظمة للعمل التطوعي في البلد، مرات ممكن يكون تنظيم أيام عمل طبية، تنظيم جولات إرشادية، أيام عمل في المدارس، أيام عمل في المقابر في الشوارع، دايماً لازم يكون في نشاط من هاد القبيل، خلال شهر لازم يكون في نشاطات مش نشاط واحد، والنشاطات هاي ترتب تلقائياً من قبل الناس القائمين على هاي، سواءً المنخرطين في العمل السياسي أو العمل المجتمعي بشكل عام، كان في هيئة عمل تطوعي في البلد بشكل عام، وأخذت مداها وأصبحت هيئة قوية، وهاي الهيئة أفرزت لاحقاً من قبيل الضرورة الهيئات التخصصية في المجال الصحي والزراعي و ... الخ.

أنا بعتقد إنو التدهور الكبير جداً (الدراماتيكي) في العمل التطوعي بدأ مع أوسلو، لأنو أوسلو كانت مرحلة مفصلية في القضية الفلسطينية، كنا إحنا على عتبة، هاي العتبة المفروض تفضي إلى الدولة، بمعنى: إنو القضية السياسية والنضال السياسي الوطني كلوا يوخذ منحى جديد (بناء دولة) لكن للأسف كانت الطريق خاطئة، والعتبة مش هي العتبة الصحيحة، فعتبة أوسلو دخلتنا في متاهة متاهة كبيرة جداً، اللي وصلتنا للمرحلة الحالية اللي إحنا فيها، أهم ما تركته هاي العتبة أو هاي المرحلة مرحلة ما بعد أوسلو اللي هي قضية نزعت الإنتماء من الناس لقضيتهم. بالتالي صار كل إشي مأجور اليوم، صار في عندك سلطة، وصار عندك توظيف، والقوى السياسية بطلت تشتغل بشكل سري صارت تشتغل على المكشوف، إلها مكاتب في مختلف مراكز المدن، وصار عندك وزارات اللي بتوظف، وصار في تمويل عم

ينضخ في البلد بقوة، وصار في عندك مؤسسات NGO's ومؤسسات التطبيع ومؤسسات من شعب لشعب وكل هاي القضايا، فازدهرت هاي الصناعة، صناعة الفلوس اللي دخلت على البلد، صناعة العمل المأجور في كل إشي ... كل إشي مدفوع ثمنه.

القضية إلها أكثر من بُعد، أول إشي نضالك ومقاومتك للإحتلال، كان هاد الشي مفروغ منوا، فرض عليك بما إنك في حركة وطنية موجودة أساسا مشان تقاوم الإحتلال، إنتي كشعب رافض للإحتلال ... رفضك للإحتلال يعني إنك لازم تقاوم هاد الإحتلال، بالتالي وجود الإحتلال وتغوله على مجتمعك وسرقته لأرضك، ومحاولته ضرب النسيج الإجتماعي وتفكيكه، هاد يدعوك كمجتمع مهدد إنك تتكاتف وتتضامن وتتكافل. بالتالي كانت العلاقات الداخلية أو النسيج الإجتماعي الفلسطيني كان نسيج متكامل متشابك قوي، بفعل ضرورة الحفاظ على الوجود. كمان القوى السياسية كانت جزء من هاد النسيج، وكانت هي أحد عوامل حماية النسيج الإجتماعي، بالتالي مثل ما قلت ضغط الإحتلال عملياً ولّد وجود حاجة للتكاتف وللتكافل، جزء من التكاتف هوي العمل التطوعي. وهي كمان ما إلهاش علاقة بإنو الوضع الإقتصادي سيئ أم لا، إلها علاقة بمستوى الإنتماء والتضامن والتكافل في داخل المجتمع في حينه، إحنا أركّنا إنو في سلطة، وهاي السلطة هي المسؤولة، وبالتالي هي مسؤوليتها الحماية وإنها توفر الخدمات، وإنها تعمل كل إشي، والسلطة وضعت حالها بهذا المطب.

تم إهمال التوعية والتعبئة الجماهيرية، اليوم ما في تعبئة جماهيرية مثل ما كان موجود زمان، بالتالي كل الأجيال الجديدة اللي طلعت من بعد أوسلو أجيال رجليها مش على الارض. لا ألومهم؛ لأنهم هذول الشباب مش عارفة، وعيت على مرحلة مش إحتلال كامل ومش دولة ومرحلة صعبة (طيب إحنا وين، وإحنا شو وضعنا) في عندك غربة عند الشباب عن قضيتهم وعدم فهم. وما في على المستوى الوطني أو الحركة الوطنية تعبئة جماهيرية بإتجاه وين رايحين، هل إحنا في مرحلة تمرد ويلا بطلنا مرحلة تمرد، فإنت بتطلع لا إنت هون ولا إنت هون، لا إنت دولة ولا انت حركة تمرد، إنت ضايع علشان هيك إحنا اليوم ضايعين، إحنا مش قادرين نطلع بإستراتيجية مواجهة مع الإحتلال، ولا إحنا قادرين نحط

إستراتيجية تطوير وتنمية إجتماعية وإقتصادية، بالتالي أصبحنا رهائن للوضع السياسي، ومن يتحكم بالوضع السياسي الإحتلال وأمريكا.

كلمة التنمية المستدامة في عليها ألف علامة إستفاهم، بقدرش أحكي عن تنمية مستدامة (هاي مصطلحات NGO's)، مصطلحات أجت بعد أوسلو، ومرحلة البناء وكل هاي القضايا، إنت ما بتقدر تحكي عن تنمية مستدامة في ظل إحتلال، إنت بتحكي عن تنمية وإقتصاد وطني مقاوم ... لازم تحطها بهاد الإطار، بالتالي لما تحكي عن تنمية قدرات لمجتمعك في مواجة الإحتلال فالعمل التطوعي عامل أساسي، العمل التطوعي ممكن يكون عامل مهم في سد حاجة اقتصادية، يعني في ظل وضع اقتصادي سيء ممكن يكون العمل التطوعي رافد مهم (رافد إقتصادي مهم) يوفر ملايين الشواقل على البلد على المجالس المحلية على المؤسسات المجتمعية على المدارس على الجامعات على المستشفيات، طبعاً إذا كان في هناك عمل تطوعي منظم وحقيقي ممكن تحكي عن تنمية بس مش بمعنى المستدامة بسبب إستمرار وجود الإحتلال.

إذا بتطلع على تجارب العالم اليوم في دول العالم الأول (الاوروبية) بتلاقي في أحزاب سياسية في داخل هاي الأحزاب أحزاب شباب، قبل ما الواحد يصير مسؤول في حزب معين هوي عملياً بكون ضمن فرع الشباب في الحزب تبعه، وهو صاحب قرار وهو اللي بقرر في كل صغيرة وكبيرة في كل إشي بقرر، إحنا لازم نوصل لهاي المرحلة، أولاً: تبدء عملية تعبئة مع الشباب، إنت بحاجة إلى توعية وتثقيف سياسي، إنت بحاجة لإدماج الشباب في القرار الفلسطيني (في القرار على المستوى الإجتماعي، على المستوى الإقتصادي على المستوى السياسي)، في إعادة الروح اللي بتتحدث عنها تحتاج إلى عملية متكاملة، تحتاج إلى تضافر جهود، تحتاج إلى قناعة عند القوى السياسية عند الحركة الوطنية بشكل عام، والمؤسسات إنو هاد جزء مهم وأساسي وأصيل من العمل السياسي والإجتماعي والجماهيري والمؤسساتي.

نعم إحنا بحاجة إلى خطة وإستراتيجية عمل، إحنا بحاجة إلى الإهتمام بهاد الموضوع على أعلى المستويات، ولازم يكون في هيئة عمل تطوعي وطنية، اللي تحط إستراتيجية عمل لكيفية عملية إعادة إحياء العمل التطوعي وجعله جزء مهم جداً في حياة كل مؤسسة، من كل وزارة،

من كل تنظيم، من كل مجلس محلي ومن كل هيئة على إختلاف مشاربها، هذا المفروض اليوم في قوانا الوطنية، كل حزب وفصيل وكل حركة يجب أن يكون هذا هوي عماد عملها (العمل التطوعي) هذا يقودنا بالنهاية إلى تغيير كامل، لأنو يمس كل جانب من جوانب عملنا وحياتنا وتوجهاتنا.

13-6. جميل الدويك

تاريخ إجراء المقابلة: 15/05/2010

أجرى المقابلة: حسين يحيى

تفريغ وطباعة: لمى يحيى

تحرير وتنقيح: حسين يحيى

من مواليد مدينة القدس الشريف، وفي أزقتها العتيقة نشأ وترعرع، بدأت تجربته في العمل التطوعي مُذ كان في عمر 16 عندما كان عضواً في نادي الموظفين الذي يعتبر مؤسسة مقدسية ريادية على الصعيد الوطني، وما زال مستمراً في عطائه، حيث يبلغ من العمر 56 عاماً ويترأس جمعية الرازي للثقافة وتنمية المجتمع.

يقول جميل دويك: الظاهرة كانت إيجابية إنو المؤسسات الوطنية في القدس وفي فلسطين عامة (كوننا تحت إحتلال إسرائيلي) هذه المؤسسات كانت تقوم بمهام الدولة الفلسطينية بدون أن يكون متبلور أمامنا لا سلطة ولا دولة، يعني كانت الأندية الرياضية تقوم بمهام وزارة الشباب والرياضة، والمؤسسات الوطنية وإتحاد الجمعيات الخيرية كان يقوم بمهام وزارة الشؤون الاجتماعية، يعني المؤسسات الفلسطينية التي تواجدت بعد الإحتلال قامت على خدمة الجماهير وخدمة الناس وكأنها الدولة، وكانت قيادة المؤسسات الوطنية الفلسطينية هي قيادة الجماهير، هي تقود الجماهير وهي البوصلة إلهم، هي اللي تحركهم، وهذا العمل طبعاً كان كلوا يندرج تحت مفهوم العمل التطوعي.

أنا بذكر لما كانوا يجتمعوا الشباب والصبايا للقيام بيوم عمل تطوعي والتخطيط إلو، كنا نقعد حول طاولة مستديرة قبل ما نتحرك تجاه الموقع اللي بدنا نقوم فيه بالعمل التطوعي، كان في منا طلاب وكمان عمال، كل واحد شو في عندوا فائض من مصروفه يحطه على الطاولة حتى نأمن أجار الباص اللي بدنا نتحرك فيه لموقع العمل التطوعي، فكانت مساهماتنا جسدية ومالية رغم تواضع وقلة الإمكانيات. يعني كانت عناصر العمل التطوعي الرئيسية هي الطلاب والعمال، بالتالي هدول دائماً إمكانياتهم المادية متواضعة، لكن كانت مساهمتهم عالية، بمعنى اللي فائض عن مصروفه كطالب والفائض عن دخله كعامل كان يساهم في إنجاح العمل التطوعي .

أحيانا كنا نقول لشب أو صبية ما فشي داعي للمشاركة لأنو في معيقات إحتلال وقمع وإعتقال، كان يستاء جداً من الحكي، إنو أنا بدي أروح بدي أشارك يعني أنا مش أقل منك. أحيانا كان في ظروف معينة، إحنا في كثير من المرات كنا نتعرض لمعوقات من الإحتلال وقمع وإعتقالات، وأحيانا كنا نقلق كثير على الصبايا خوف إنو الإحتلال يمشكلوهن، ما يقبلن الصبايا، بإصرار زي ما قلتلك كانن يشاركن، كانت المشاركة تأخذ بعدين بعد الحق والواجب، واجب علي وحق إلي، يعني كان الشب يطالب إنو هو يشارك كحق اله، أنا جزء منكم أنا جزء من هاذا المجتمع ليش إنتا تقدم وأنا ما أقدم، هذه كانت مشاهدة يومية مع الشباب والصبايا اللي كانوا يشتغلوا في العمل التطوعي .

إحنا كنا نشعر إنو المجتمع (طبعاً تحت إحتلال) بنقصه الكثير من المقومات، يعني إحنا بالتاكيد ما كناش نستطيع نغطي كل المقومات، لكن كنا نستطيع نغطي كل المقومات اللي بنقدر عليها، كان وين قدرتي وين طاقتي وين ممكن أشتغل حتى لو بدها توصل للإعتقال، وكثير مرات أخذونا على الحواجز وإعتقلونا وإحنا رايحين نقطف زيتون لأنو كان الإحتلال يفهم تماماً ويدرك تماماً إيش يعني إنو الشب ينتمي للعمل التطوعي (كانت تهمة) كانت في فترة من الفترات: العضوية في نادي الموظفين تهمة وكأنها عضوية في تنظيم ممنوع، كانت المخابرات الإسرائيلية تنزل على النادي في الليل تسرق القوائم حتى يعرفوا مين أعضاء النادي، وكان لما الشب ينطلب لقسم التحقيق يسألوه أول سؤال: إنتا عضو في نادي الموظفين؟ هذا الكلام يدل على قديش مفهوم إنو الإنسان ينتمي لوطنه ولمجتمعه ولجسم من أجسام العمل التطوعي اللي عماله بيخدم فيه قضيته وبلده، يعني مفهوم العضوية بالعمل التطوعي هو كان بجسد الإنتماء.

لجان العمل التطوعي كانت عندها برامج أسبوعية وكانت برامجها بالإضافة إلى الأعمال التطوعية جلسات تثقيفية، كان عنا برنامج كتاب وقارئ يعني كان هذا البرنامج مهم جداً، كان في عنا مكتبة في القدس إسمها مكتبة صلاح الدين كانت تصدر كتب، وكان الإقبال على المكتبة من لجان العمل التطوعي إقبال كبير جداً، لأنو برامج لجان العمل التطوعي هي برامج إجتماعية وتناغم وإتصال مع المؤسسات ولكن أيضا هي بناء للذات الوطنية، فكان التثقيف جزء مهم من العمل.

مخيم العمل التطوعي في الناصرة، مخيم سنوي يعني الشباب والحركات الوطنية في الداخل وبالتحديد في الناصرة همي اللي كانوا يشرفوا عليه، وإحنا كنا نروح كجزء من المشاركة مع جماهير شعبنا في الأرض المحتلة 48 ، كانت المشاركة تمتد لمدة أسبوع وكانت أهدافه كبيرة، يعني بالإضافة للقيام بالأعمال التطوعية في المنطقة غاد، كانت جماهير شعبنا من غزة من الضفة الغربية من القدس يشاركوا مع أهلنا في الداخل بأعمال تطوعية، ولكن لأنه مخيم لمدة أسبوع مع مبيت مع إقامة كان في حالة من التفاعل الكبير جداً بين كل هذه القطاعات مع بعضها خلال الأسبوع، تبادل أفكار، تبادل زيارات كان يعقبه، لكن الأساس كان هو بالإضافة الى تنفيذ أعمال تطوعية هي حلقة الوصل بين كافة قطاعات شعبنا وتتعرف على همومها المشتركة، وتبادل الأراء فيها، بالإضافة طبعا لحلقات السمر اللي كانت تحصل كل ليلة ويتقدم فيها الفلكلور الفلسطيني، يعني كان في تعبئة وطنية وثقافية وحدوية، بحكي عن سنوات كانت هي قمة العمل التطوعي الوطني.

تجربة الجبهة الوطنية (تجربة السبعينات) طبعاً بتحكي عن شغلة تنظيمية صرف، روحها العمل التطوعي وجوهر عملها وأحد ركائزها، بتحكي عن جسم تنظيمي كان الهدف بعد إنتخابات مجالس البلدية وفوز القوى الوطنية بإنتخابات مجالس البلدية ومحاولة الإحتلال قمع هاد الحراك الوطني، بتذكر العمليات اللي أستشهد فيها كريم خلف، وأصيب غسان الشكعة ... الهجمة الشرسة على العمل الوطني، كانت هاي ذروة العمل الوطني وكان لابد من تأطير العمل الوطني بصورة تنظيمية، تم تشكيل الجبهة الوطنية، جبهة مؤلفة من بين كل الفصائل الفلسطينية العاملة في الأراضي المحتلة من أجل تأطير العمل الوطني وترتيبه وتنظيمه، كانت هاي هي تجربة مع الأسف عمرها كان قصير لأنو تم قمعها بشكل شرس جدا من الإحتلال وإعتقال كافة أعضاء الجبهة الوطنية، تم إعتقالهم وتم إعتقال أعداد بالمئات في حينها بالإضافة إلى الحملة الشرسة اللي قامت فيها ضد رؤوساء البلديات، كان في قمع وتخويف واضح، بس هي تركت آثار إيجابية برأي إنو بدأت الشخصية الوطنية الفلسطينية المستقلة اللي تعرف إنو إحنا إسمنا فلسطين، إحنا مش الضفة الغربية لنهر الأردن، إحنا مش جزء من الأردن، بدأت تتبلور، بدأ يتعزز ارتباط الناس بمنظمة التحرير كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني، بدأ إلتصاق الناس وإعتزازهم بهذا البيت المعنوي « منظمة التحرير» كان الها نتائج إيجابية.

بالتأكيد الأعمال التطوعية اللي كانت تقام كان لابد من وجود أجسام تنظمها ، ولجان تنظمها وترعاها ، فالبداية كانت يمكن تشكيل اللجان كان يتم على مستوى لجان فرعية بأحياء ، بعدين تشكل لجنة مركزية ، بذكر إنو في بعض المناطق كانت تتشكل مثلاً على صعيد القدس: في منطقة الصور تتشكل لجنة عمل تطوعي، في منطقة وادي الجوز تتشكل لجنة عمل تطوعي، ومن ثم يصار إلى توحيدها بلجنة مركزية من أجل التنسيق للأعمال مع بعضهم ومن أجل وضع برنامج مشترك. بس كانت الفكرة هي إنو لابد من وجود أجسام بتنظم العمل التطوعي، وكمان بتنظم الأنشطة اللي إحنا معنيين فيها ، فشهدت القدس (بدي احكي عن تجربة القدس أكثر) موجات من تشكيل اللجان، لغاية سنة ال 80 ما كان متبلور هوية تنظيمية أو هوية سياسية للجان العمل التطوعي، بمعنى لجنة العمل التطوعي كانت تضم الكل بغض النظر عن الفئة والعقلية والانتماء السياسي، من سنة ال 80 وطالع بدأت تتبلور لكل لجنة عمل تطوعي هوية تنظيمية ، وبنحكي كمان عن اللجان النسوية ، اللي هي كانت هي جزء من لجان العمل التطوعي بعدين انفرزت كلجان نسوية منفصلة ، اللي فصلها هوي دخول الهوية الفصائلية أو الهوية التنظيمية على اللجان، فأصبح كل تنظيم أو فصيل بدو يبرز إنو في عندو لجنته ، كان في لجان العمل التطوعي ثم صار في لجان الشبيبة للعمل الاجتماعي، ثم كل فصيل بسمي لجنته ، يعني صارت الفصائل هي تلعب دور ، وهذا إلى حد ما زاد بأعداد المتطوعين ولكن قلص بالنتائج وأضعف العمل.

يعني NGO's اليوم المفهوم الحقيقي الها والموجود هو عملية business يعني تجارة، بينما كانت في البداية معروف دورها في المجتمع هي خدمة للمجتمع في المجالات اللي الحكومة لا تستطيع أن تلبيها ، أو هي مكملة لدور وبرامج الحكومة ، لكن اليوم في فرق شاسع بمفهوم هاي المؤسسات عما كان عليه قائماً في السابق في هديك الفترة ، في السابق مثل ما حكينا قبل شوي كانت هي تقوم بمهام كثيرة لخدمة المجتمع. اليوم أصبحت يعني بالمفهوم اللي بنحكيه يومياً هي " دكاكين " ، يعني دكان وهدفه إنو يجند ميزانيات، والقائمين على المشاريع مستفيدين بغض النظر قديش إنعكس على مجتمعهم وشو اللي قدمه للمجتمع، أنا بديش أعمم، ما بقدر أعمم ولكن هذا موجود ، وموجود بشكل ملحوظ، هذا الكلام يؤدي إني أفكر بعقلية التجارة، يؤدي إلى تراجع في دوري وفي خدماتي اللي بقدمها للناس، إذا أنا فكرت بمنطق العمل التطو

13-7. خالد منصور

تاريخ إجراء المقابلة: 09/09/2013

أجرى المقابلة: حسين يحيى

تفريغ وطباعة: لمى يحيى

تحرير وتنقيح: جبريل جحشان

بطلٌ شعبي، تجده على رأس المظاهرة بصوته الجهوري، هتافه نابع من الوجدان الحقيقي للاجئ يرى الأرض تتسرب من تحت قدميه، ميداني حقيقي جعلت منه قيادي دون سيارة فارهة أو مرافقين، على أهبة الإستعداد للعطاء، تجده صباحاً في شوارع نابلس، وظهراً في رام الله، ومساءً قد تجده في جنين أو طولكرم، متفانٍ في العمل ويشهد له الجميع بذلك.

يقول خالد منصور: لا أريد الخوض في تاريخ العمل التطوعي بفلسطين؛ كثير غيري كتبوا عنه، إلنا تراث في العمل التطوعي خاصة الريف الفلسطيني، لكن أريد أن أتكلم عن العمل التطوعي في زمن الإحتلال، كعمل هادف له طابع إنساني من جهة وطابع وطني من جهة أخرى، كان الحزب الشيوعي هو الأكثر تنظيماً في تلك المرحلة، التنظيمات الفلسطينية الأخرى كانت تنظيمات عسكرية، الحزب الشيوعي كان له تنظيم جماهيري، نقابات عمالية ومهنية، أخذ على عاتقه إستنهاض طاقات الجماهير للدفاع عن وجودها وبقائها في الوطن وإعادة بناء المؤسسات.

هنا كان الإنتباه من أجل تحريك المجتمع ليدافع عن نفسه وليعوض النقص، ليواصل بناء ما هدمه الإحتلال، كانت موضوعة العمل التطوعي فكرة ترد على ممارسات الإحتلال من جهة، وتستجيب لتطلعات الناس من جهة أخرى، لم يكن لدينا مصادر تمويل وبالتالي كان يجب أن يتطوع أحد ما.

كنت أعيش في مخيم لاجئين، وكالة الغوث كانت تقلص خدماتها شيئاً فشيئاً ولا تستجيب لكل مطالب الناس، هنا نشأت لجنة في داخل مركز الشباب الإجتماعي إسمها لجنة الخدمات الإجتماعية، أخذت

على عاتقها القيام بأنشطة تطوعية في المخيم، وأصبح عدد أعضائها أكبر.

شكلنا في أواخر السبعينات اللجنة العليا للعمل التطوعي في الضفة وقطاع غزة، وكان لها فروع في مختلف محافظات الوطن، تحت هذا الإطار كنا نشتغل في كل القرى والبلدان، وبالتحديد إرتبطنا في اللجنة العامة للدفاع عن الأراضي، كانت لجنة من محاميين ومن أصحاب الأراضي وسياسيين وأعضاء مجالس قروية.

ضُربت الثورة الفلسطينية في لبنان، أصبح هناك قناعة أن الداخل هو الأساس، ومن هنا بدأت القوى ببناء نقابات ولجان عمل تطوعي، لم يعد العمل التطوعي عملاً عاماً، أصبح عملاً تخصصياً، وتوسعت اللجان ودخل فيها مهندسين وأطباء، من هنا تشكلت لجان تطوعية في العمل الزراعي، لجان تطوعية في العمل الصحي، لجان تطوعية في قضايا القانون، كان عملاً رائعاً، فيما بعد تراجع العمل التطوعي في هاي المؤسسات، وأصبح هناك توظيف وأصبح هناك تمويل.

كنا نشعر أن هناك واجباً وطنياً يدعونا لذلك، وعلى شاكلتها تشكلت اللجان الشعبية في الإنتفاضة، هنا كان دور كبير للنساء، وصل الإحتلال لمرحلة أن يعاقب النساء مثل الرجال، هذا عدا المدارس الشعبية، كل خبرة العمل التطوعي في السبعينات والثمانينات تجلت في الإنتفاضة الأولى.

للأسف لم يبني عليها، لكن إتفاق أوسلو وما جلبه، حوّل العمل التطوعي إلى عمل مأجور، وأصبح كل إنسان يقيس همته بالمقابل المادي، العمل المأجور هو الغالب لكن بالإمكان إعادة الروح للعمل التطوعي، وهذا بيطلب نماذج مخلصة، ولعب ال NGO's دور في إنهيار القيم كما الحكومة، مشكلة شبابنا اليوم إنهم لا يتلقون ثقافة تعزز الإنتماء، ولا يرون مسلكاً بعززه، المظهر العام هو تعزيز الفردية والأنانية. نحتاج إلى طليعة مناضلة ومضحية تثبت ذاتها تجذب التفافاً حولها، تمارس التوعية بالممارسة، وتقديم القدوة على الموعظة، يجب أن يتنقل المتطوعون من منطقة لمنطقة لخلق التضامن والتفاعل.

سن تشريع بالتطوع أمر جيد ومحفز، ولكنه وحده لا يكفي لأنه يصبح إجباراً، أنا مع تكريم قادة التطوع المؤسسين على مستوى المحافظات

وعلى مستوى البلد، وخلق حالة تنافس بين المتطوعين الجدد، يجب أن تكون هنالك حاضنة للعمل التطوعي موثوق بها وشعبية لا رسمية، بعيدة عن الفئوية السياسية.

لدينا في حزب الشعب الفلسطيني توجه لدعم وتعزيز العمل التطوعي، نسأل رفاقنا عن إسهاماتهم في العمل المجتمعي ، إسهاماتكم في حملات مقاطعة البضائع الإسرائيلية (هذا تطوع) النظام السياسي الفلسطيني أصيب بالترهل. هناك جدوى إقتصادية من العمل التطوعي، بتوفير أجور القوة العاملة وتوفير فرص لتحسين الحياة، المخططون الإقتصاديون في بلدنا لا يحسبون بهذه الطريقة، وبالتالي لا بد من لفت نظرهم لقيمة العمل التطوعي.

13-8. خالدة جرار

تاريخ إجراء المقابلة: 24/04/2010

أجرى المقابلة: حسين يحيى

تفريغ وطباعة: صابرين نصار

تحرير وتنقيح: جبريل جحشان

من ناشطة طلابية إلى قائدة نسوية، إلى عضو مجلس تشريعي وقيادية في تنظيمها، إضافة لإدارتها قبل عضوية المجلس التشريعي لمؤسسة الضمير لرعاية الأسرى، عاشت خالدة تجربة غنية من التطوع، هي مثابرة ومجتهدة، مقبلة على الجديد، وقادرة على الدخول في أي معترك، ربما عرفها الناس بعد عضوية المجلس التشريعي لكن ما وصلت إليه ليس سوى ثمرة جهد متواصل في العمل الجماهيري.

تقول خالدة جرار: تفتحت عيني في العمل الجماهيري على تجربة العمل التطوعي, كانت المدخل الذي قادني للإنخراط في العمل الوطني والسياسي. كان عمري 13 سنة عندما تأسست في مدينة نابلس لجنة للعمل التطوعي، وتحمست مع فتيات أخريات للعمل في هذه اللجنة, كان طبيعة عملنا تنظيف شوارع المدينة, إستصلاح الأراضي, شاركنا في إستصلاح منتزه جمال عبد الناصر، كان لدينا طاقة عالية فرغناها هناك. في ساعات الراحة كنا نناقش كتباً وهذا كان مدخلاً للتثقيف، كنا قبل المشاركة في العمل التطوعي نكون قد قرأنا كتاباً، بعدها نقلنا هذه التجربة للمدرسة وتطورت خبرتنا، في الجامعة أصبح العمل ممنهجا أكثر.

صرنا نقيم مخيمات في القرى، 3 أيام ننام فيها في بيوت المزارعين (نساعدهم في قطف الزيتون). إستخطر الإحتلال في فترة الثمانينات هذه الظاهرة، وأصدر قراراً بمنع مخيمات العمل التطوعي، صرنا نذهب بشكل سري من بين الجبال حتى ندخل القرية، وعندما يعرف الإحتلال أننا دخلنا يبدأ بمداهمة البيوت للبحث عن المتطوعين والمتطوعات.

كان المجتمع أكثر إنفتاحاً, وشيء طبيعي أن تلاقي شبان وفتيات يعملون معاً، وكان التقبل عالياً، ولا مرة شعرنا بمضايقة في هذا الموضوع، كنا أكثر تحرر في نظرتنا للمفاهيم من الإنغلاق الحالي،

في البدايات واجهنا صعوبات لكن مدخل الصعوبات كان سياسياً، بمعنى: إنو هدول يساريين (اللي بنزلوا ينظفوا الشوارع) ... كان هناك مظاهر رافضة، لكن كانت هذه هي الإستثناء، لإنهم كانوا يشوفوا نتائج العمل وكان في إنجازات، والعمل التطوعي كممارسة إنسانية كان فيه قيم أخلاقية نسعى لتأسيسها من خلال الأنشطة التطوعية عكس ما كان يدعي بعض الأشخاص، وجزء من المجتمع كان ينظرلنا بتقدير. ظاهرة العمل التطوعي تطورت واتسعت وأصبحت ظاهرة عامة ساهمت بتأسيس المؤسسات ودفعت و دعمت الأحزاب السياسية، ونقلتها من العمل الوطني المقاوم لوحده لتنمية مقاوِمة على الأرض، كما دخل العامل الإغاثي في طبيعة عملنا في تلك المرحلة، الإتجاه العام كان متقبلاً وليس رافضاً، المظاهر الرافضة كانت الاستثناء، كانت تحكمنا قيم أخلاقية نسعى لتأسيسها من خلال الانشطة التطوعية، فاستطعنا أن نتجاوز الصعوبات بالعمل.

أتذكر في السنة الثانية للجامعة وفي أحد مخيمات العمل التطوعي، صدر أمر عسكري بمنع توجه طلاب الجامعات للمشاركة في مخيمات الزيتون, وضعوا حواجز على الطرق تجاوزنا جبالاً حتى نصل (كان الهدف أن نصل و وصلنا).

ليس معقولاً أن لا يستثمر أي حزب في الشباب عبر مثل هذه الأنشطة, لأن قيادته كانت تشارك أصلاً، لم أكن محزبة لأي حزب حينما دخلت العمل التطوعي، لكن العمل التطوعي كان مدخلاً أن أختار حزب يساري، لا أذكر أن أحداً خلال العمل التطوعي عرض علي التنظيم لهذا الحزب أو ذاك. تعرفك على الناس يجعلك قادراً على التقييم فتقرر، لاحقاً توضح أن هذا كان توجهاً لدى الأحزاب اليسارية لإيجاد صيغ تخدم الناس وتخدم المجتمع، وفي سياقها يجري التأطير, برأيي هذا أسلوب صحيح وأسلوب محترم، المنطلق منطلق حقيقي له علاقة بخدمة البلد وخدمة الوطن. والخدمة هنا لا تتوجه لأي حزب, بل الحزب هو الذي يقدم الخدمة، من حق أي حزب أن يبادر وإذا نجح الحزب في أن يبادر في إستقطاب الكادرات الشبابية خدم الوطن, أتمنى أن تعود الأحزاب للعمل بالطريقة اللي كانت تعمل بها.

مع ثقافة أوسلو (ثقافة الذاتية) بدأ الإنهيار في هذه القيم، ربما بدأت تنهار في أواخر الثمانينات أوائل التسعينات, الإنتفاضة الأولى كانت

نموذجاً إستثمارياً لما قبله من عمل تطوعي, عبر تشكيل لجان الأحياء, المقاطعة, التعاونيات. الإنتفاضة السابقة كانت إستثماراً عالياً للنموذج التطوعي الذي تحول لنموذج مجتمعي، بعد أوسلو بدأ الدخول في أشكال العمل الرسمي وليس الشعبي, أصبح هناك وظائف في إطار السلطة، الآن هناك هيمنة من العمل الرسمي والحكومي على العمل الشعبي ... وهذا خطير، حصل إنهيار قيمي وأصبحت الفردانية والذاتية هي المظهر الغالب. لذلك يجب أن نعيد الإعتبار لقيمة العمل التطوعي، يجب أن نعيد الإعتبار لقيمة العمل الشعبي, وشعبنا لا زال تحت إحتلال ويحتاج عملاً تنموياً شعبياً.

لا يتعارض وجود NGO›s مع العمل التطوعي إذا أعطي لكل مجاله، يجب أن يكون هناك تكامل في العمل، للأسف هناك NGO›s أصبحت نقيضاً للعمل الشعبي، NGO›s تحتاج إلى إعادة تقييم، وهي ليست بديلاً عن العمل الشعبي والإتحادات الشعبية، وإنما لها جانب تخصصي يسند العمل الشعبي ... يجب أن يكون دورها تكميلي للعمل الطوعي.

أنا مع تشريع خدمة وطنية في إطار قيمي, ولكن أولاً: يجب أن نعيد القيمة للعمل التطوعي، وثانياً: يجب أن ندعمه بإجراءات ربما منها متطلبات قبل أن نصل لتشريع.

أرى في عقد مؤتمر شعبي يعزز قيمة العمل التطوعي، يناقش الآليات لتطوير العمل التطوعي وإعادة الإعتبار للعمل الشعبي، نبدأ بنبذ الفئوية, نراهن على الحركات الطلابية كمقدمة، نقيم مخيمات العمل التطوعي, ننشط المدارس, المؤتمر الشعبي يمكن أن يضع خطة تعيد الإعتبار للعمل التطوعي، هناك مفاعيل بالمجتمع يجب أن تقوى وهي مفاعيل العمل الشعبي (العمل التطوعي) حتى نتمكن من إنهاء هذا الإحتلال، ونتمكن أيضاً من بناء مجتمع برؤية تنموية ديمقراطية تقدمية تشاركية ... رؤية تنموية تعزز الصمود.

13-9. ربيحة ذياب

تاريخ إجراء المقابلة: 28/04/2010

أجرى المقابلة: رنا بكير

تفريغ وطباعة: صابرين نصار

تحرير وتنقيح: جبريل جحشان

إمرأة كأنها قُدت من صخر، عانت الإعتقال هي وزوجها، تركت في العمل النسوى آثاراً، لم يكن طريقها سهلاً من السجن إلى رئاسة وزارة المرأة، كما أنه لم يكن مراً بقدر مرارة الجرم الإحتلالي، لكنها إستطاعت أن تنسج سربالاً من التفاؤل، هي من قيادات الحركة النسوية الفلسطينية، وهي حتى الآن تعيش في ثوب المناضلة الفلاحة أكثر من ثوب الوزيرة، فهي إبنة القرية، فلاحة متواضعة عاشت مع البسطاء.

ترى ربيحة ذياب أن العمل التطوعي كان ضمن برنامج وثقافة الطلاب الفلسطينيين في الجامعات والمدارس، يُغرس ثقافة مجتمعية جديدة في شعبنا (سواءً في القرى أو المدن والمخيمات الفلسطينية) من ضمنها إبراز الهوية الفلسطينية، إلى أن وصل إلى داخل الخط الأخضر، هذا الموضوع بحد ذاته هو عبارة عن ثقافة جديدة، وهو دليل على إنتماء للوطن وللمواطن الفلسطيني، من هنا أخذ يكتسب خبرة وثقافة جديدة، فأصبح ظاهرة في مجتمعنا الفلسطيني طالت كل مناحي الحياة, وأصبحت ظاهرة تقلق الإسرائيليين.

كان هناك تنسيق على مستوى الجامعات الأربع الرئيسة (بيرزيت والنجاح وبيت لحم والخليل) في العمل التطوعي، حاول الإحتلال ضربها عدة مرات، إما بإغلاق الجامعات أو بإعتقال الطلبة الذين يقومون بهذا العمل، كانت الحركة الطلابية عبارة عن الصوت الذي يتحدث بإسم منظمة التحرير الفلسطينية وبإسم القيادة الفلسطينية بشكل عام، وكان هناك تناغم كبير ما بين الطلبة و ما بين القرارات السياسية التي تصدر عن القيادة، وهذا أكثر ما أقلق الإسرائيليين، وبطبيعة الحال رأينا ما حصل فيما بعد عندما كان في هناك ضرب وإقتلاع لمنظمة التحرير وإبعادها آلاف الأميال عن فلسطين، مع ذلك وقفت الحركة الطلابية وحملت العبئ الأكبر إلى جانب أبناء شعبنا والشرائح الأخرى، وقامت بإنتفاضتها الأولى التي كان هدفها الوصول إلى الدولة

الفلسطينية, نحن حتى الآن حققنا جزءً من هذا ولكن على طريق إنشاء و قيام الدولة الفلسطينية بشكل سيادي ذات سيادة، ذات حدود، ذات عاصمة وحق عودة اللاجئين.

كنت أشعر أن العمل التطوعي جزء من أجندتي الوطنية، وجزء من مشروعنا الوطني، وجزء من محاولة جمع الناس حول فكرة معينة, أنا أعتقد من يكنس شارع في بلده أو منطقة أخرى يشعر بالفخر، وهذا يعطي للآخرين أن يكونوا أو يعملوا مثل هذا العمل، إنتماء أقوى للأرض وأقوى للوطن وأقوى للعمل وفكرة العمل الوطني بشكل عام.

كانت المبادرات من القيادات الطلابية بالأغلب في موسم قطف الزيتون, هذا خلق علاقة ما بين الطالب وما بين فئات شعبنا من المزارعين، شاركهم في ذلك أعضاء فصائل منظمة التحرير التي كانت تسعى بإستمرار إلى أن تصل بهذا الجهد إلى إمكانية أن يكون برنامج عمل دائم للطلاب.

أي مشروع أو أي فكرة كان لا بد أن يكون لها لجنة عليا، تضع البرنامج وتخرجه في آليات لإنجاح المشروع. كان هناك تلاحم بشكل كبير وقوي ما بين شعبنا، خاصة عندما يشاهدون بعض التجارب الناجحة التي تحقق لهم بعض الحاجات ... يلتف الجميع حول هذا الموضوع.

لم نكن نشعر بفرق بين الشاب والفتاة في العمل، كنا مع بعضنا في العمل الميداني، الإنتفاضة الإولى ألغت كل الفوارق، ولم يكن للإنتماءات العشائرية أهمية، كانت الإنتماءات التنظيمية والفصائلية تطغى على كل شيء، وبالتالي كان هناك وجود حقيقي ومشاركة حقيقية للمرأة على مدار هذه المراحل، وتوجت بعطائها في فترة الإنتفاضة، وكان للفتاة الفلسطينية دور كبير في إستمرارية الإنتفاضة على مدار سبع سنوات، حيث كان يمكن أن تقف في ظل الإعتقالات التي كانت تتم. كان للمرأة دور ومساهمة كبيرة في قيادة وإستمرارية الإنتفاضة، إلى أن أتت ثمارها في أن يكون هناك إعتراف رسمي وصريح بأن منظمة التحرير هي ممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني.

كان تأثير الأحزاب يطال العمل التطوعي وكل شيء، وكان السائد أن هذه القيادات هي التي ستوصلنا إلى أن نكون جزء لا يتجزأ من

منظمة التحرير، ونحن أصبحنا هكذا على مدار سنوات، جزء من هذا الموضوع هو العمل التطوعي الذي أصبح ظاهرة، وأصبح ثقافة موجودة دون أن تقرر الجهات العليا، أصبحت كل جهة في موقعها تقرر ماذا تعمل.

لم تكن هناك سلبيات ظاهرة في هذا المجال، السلبيات كانت تأتي من الإحتلال تجاه العمل التطوعي، أستطيع أن ألخص الإيجابيات في: تعزيز الإنتماء، الثقافة الجديدة « العطاء «، شعبنا كان مبدعاً بذلك، نحن الآن في فترة ضاعت فيها البوصلة نوعاً ما، جزء من شعبنا إعتقد أنه تحرر وبالتالي لا يوجد داعٍ للعمل الجماهيري، حتى لو تحررنا وحققنا الدولة، يبقى العمل التطوعي جزء مهم من ثقافة شعبنا، يجب أن يستمر وأن يتواصل حتى يكون لدينا بلد مزدهر.

لا بد من الربط ما بين التنمية المستدامة والعمل التطوعي لأن التنمية المستدامة تدخل في أكثر من مفصل وأكثر من محور، وبالتالي عندما تكون ثقافة العمل التطوعي موجودة فإن هذا سينمي هذه التنمية وستبقى للأبد، لأنه مش معقول كل شيئ لازم يتم بالفلوس، إحنا ما زلنا تحت إحتلال وبالتالي يجب أن يكون هناك هامش واسع للعمل التطوعي حتى نستطيع أن ننجح بعض المشاريع ونحقق بعض القضايا خاصة في الأرياف.

لقد تراجعت قيمة التطوع لعدة أسباب أهمها تغير الظروف وتغير الأساليب، لكني أعتقد بأن الفرصة سانحة لإعادة هذه الثقافة من جديد، وإدراجها على جدول أعمال كافة شرائح ومؤسسات شعبنا الفلسطيني، نحن بحاجة لكل شيء من أجل أن نبقى صامدين و نبقى أقوياء في مواجهة هذا الإحتلال.

هناك خبرات موجودة في هذا الجانب يجب الرجوع إليها والتعامل معها وأخذ الأفكار منها، هنا أقترح عقد لقاء يناقش أين نقف الآن من التطوع والعمل التطوعي، ومن أين نبدأ، أرى أن العمل التطوعي يجب أن يكون جزءً مهماً من حياتنا اليومية وعملنا، حتى لو حققنا الدولة الفلسطينية المستقلة، شعبنا عظيم وأتوقع أنه عندما تتوفر له الإمكانيات سيبدعون، وسيكون لهم باع طويل في المستقبل القريب وتكون لهم قيادة هذا الوطن.

13-10. زكريا النحاس

تاريخ إجراء المقابلة: 24/04/2010

أجرى المقابلة: حسين يحيى

تفريغ وطباعة: محمد مصلح

تحرير وتنقيح: جبريل جحشان

من ناشط طلابي وتطوعي إلى السجن، إلى عمر طويل من الخفاء والعمل السري، إلى الإبعاد والعودة، ثم تكرار الإعتقالات ثم إلى العمل البحثي، مسيرة طويلة كلها تضحيات وصلابة وصمود وإستمرار، زكريا النحاس 54 عاماً من سكان مدينة البيرة، عرفته الحركة الطلابية في المدارس وجامعة بيرزيت، وعرفته ميادين التطوع، كما عرفته السجون، هاديء بطبعه لا يهوى الأضواء، بسيط ولا يبحث عن شهرة أو منصب، مناقبه تطوعية بإمتياز، خريج جامعة بيرزيت، ويحمل ماجستير في العلوم السياسية من روسيا، وهو الآن يعمل باحثاً ميدانياً في الشأن الوطني والسياسي.

يقول زكريا النحاس: في فترة السبعينات، كنت طالباً في جامعة بيرزيت وكان هناك مجموعة من الأساتذة والطلاب في الجامعة، أذكر منهم بالأسماء: منير فاشه وسليم تماري، وأيضا من خارج جامعة بيرزيت: بهيج السكاكيني، فطين مسعد، زياد الترتير، ومن الطلاب: رياض أبو عواد، فؤاد سلوم، علي حسونة، والمرحومة مها نصار، إيلين كتّاب، إلتحق بهذه المجموعة آخرون منهم: محرم البرغوثي، بسام الصالحي كان طالباً في الثانوية، سهام البرغوثي وأختها سهير كانت مدرسة في مدرسة بنات را م الله الثانوية والدكتور عزمي الشعيبي، هناك أسماء أخرى لا تحضرني. إلى الجانب المميز والذي لعب دوراً كبيراً في تسهيل إنطلاقة العمل التطوعي وهو عبد الجواد صالح كان رئيس بلدية البيرة، ساهم بكثير من التسهيلات، إنسان وطني غيور وعنده رغبة للعمل التطوعي، ساهم في إعطاء دفعة لإنطلاقة هذه التجربة.

سبق عملية الإنطلاق في الميدان نقاشات وحوارات، ماذا نريد؟، لماذا العمل التطوعي وهدفه؟، إجتهادات متباينة ظهرت، لكن ما كان

يجمع بين المجموعة شيء محدد هو لإنتماء االوطني والرغبة بالعطاء، كان هناك إتفاق أن هذا العمل التطوعي شكل من أشكال المقاومة، يتضمن الرفض للإحتلال والتعبير عن الصمود فوق أرض الوطن وعدم القبول بالهزيمة، وتم الإتفاق على مجموعة من المحددات. لما إنتقلنا لمرحلة الإنتشار تم التوافق على العودة إلى فكرة الجذور ولكن بمفهوم عصري وتكريس الإهتمام بالأرض بإعتبارها جذر الصراع مع الإحتلال. والإهتمام بالإنسان عبر توصيل أفكار سواء كان الفلاح أو المشارك معنا في العمل التطوعي، من نوع التضامن الإجتماعي، ألحق في المقاومة، البساطة في الحياة، عدم الإنشداد إلى المظاهر اللي كان الإحتلال يزرعها، هذه كانت جزء من الأفكار اللي كنا نحاول توصيلها لنفس المجموعة، كنا نشتغل في محلات ذات منفعة عامة، نساعد البلدية، نساعد مدرسة، معنيين نساعد الناس الأكثر إحتياجاً، الأكثر فقراً في المخيمات وفي الريف.

سادت أجواء إيجابية وحميمة مابين القائمين على العمل التطوعي، كنا نختلف في بعض الأفكار والإجتهادات لكن الحوار كان الحل، كنا نصطدم خاصة في القرى بنقد خاصة لموضوع الإختلاط، وكنا ندخل معهم بنقاشات نوضح لهم أننا نرى أن المرأة بإمكانها أن تساعد الرجل، وأن علاقتنا فيما بينا علاقة محترمة جداً، وعلى مدار سنوات عملنا لم يسجل على أداء العمل التطوعي أي ملاحظة لها طبيعة أخلاقية تتعلق بعلاقة الرجل بالمرأة. لم نكن رقباء على أحد، ولكن كان هناك مسؤولية جماعية.

كان هناك إتهامات من الخارج، مثلا في القرى طلع بعض الناس بنقد عالٍ لنا، لكن أكثر دعم كنا نلاقيه من بقية الناس أنفسهم حين يردون عنا التهم بقولهم: " جاءوا إلينا أكثر من مرة، إشتغلوا وساعدونا، وتبرعوا ولم نر منهم ما يسيء ". عملنا مرة في كفر مالك على مدار أسبوعين في قرية كفر مالك، وتكررت روحاتنا اليها، هذا إستفز بعض الناس، في إحدى المرات وفي خطبة يوم الجمعة جاء خطيب وبدأ يهاجمنا، ما أراحنا كثيراً وأعجبنا أن أهل البلد طلبوا منه أن يتوقف عن الخطبة وأن لا يعود مرة أخرى ليخطب فيهم ".

بعد أن دخلت جامعة بيرزيت على الخط ساهم في الإنطلاق لنطاق أوسع، إنتقل لمعظم مدن وقرى الضفة الغربية، وانتقل أيضا إلى قطاع

غزة (ربما بشكل أقل) سواءً من خلال طلاب غزة الدارسين في جامعة بيرزيت أو من خلال معارف وتواصل ما بين الأفراد الداعمين. كما دخلت سرية رام الله وإحتضنت العمل التطوعي، فكرة الإنتشار أخذت طابعاً أوسع من خلال المخيمات الصيفية، وبالأساس فترة موسم قطف الزيتون من خلال جامعة بيرزيت، كانت فكرتنا الأساسية هي الجمع ما بين العمل اليدوي والعمل الذهني أو الفكر والعمل، التعامل ما بين الرجال والنساء في التجربة، كان هناك إحترام ومساواة، من ضمن الأشياء اللي كنا حريصين على إبرازها: النظرة الطبقية لمفهوم العمل التطوعي، كنا نتطوع لصالح الفقراء أو للمصلحة العامة. كنا نشتري أدواتنا أو نحصلها تبرعاً وكذلك المواد، وكنا نحث عمالاً فنيين على التطوع وكان تجاوبهم كبير، لم يكن أحد يمولنا، موضوع المال لم يكن له وزن حقيقي في كل عملنا، كانت إحتياجاتنا محدودة جداً، ونكتفي بالقليل، هذه الميزة .. كانت عنصر قوة لتجربة العمل التطوعي.

في ظل الإحتلال، ليس لدينا خدمة علم، ولما طُرح موضوع بيرزيت حاولنا أن نربط ما بين فكرة التطوع العام للبلد وخدمة العلم، مثلاً مجموع ما دخل السجون في ظل الإحتلال يعادل 700000 فلسطيني (رجل وامرأة) هذا شكل من أشكال الإنتماء للهم العام، هذا تطوع، فالإلزامية التي أدخلتها جامعة بيرزيت كانت نوعاً من الجسر يربط ما بين فكرة التطوع المباشر (الذاتي) وما بين خدمة العلم.

فيما يخص دور الأحزاب السياسية كانت الفترة من 67 لبداية السبعينات مظهرها العام هو العمل المسلح، فكان إهتمام القوى السياسية بشكل عام بالعمل التطوعي محدود أو بسيطاً، وكان لوجود البرنامج الإجتماعي أو البعد الإجتماعي في برنامج القوى المصنفة يسارياً أثر في كونها الأكثر إهتماماً بظاهرة العمل التطوعي، فالمجموعة المبادرة لتشكيل لجان العمل التطوعي، هي من المنتمين إلى اليسار غالباً، كانوا موجودين في النواة الأساسية اللي أسست لظاهرة العمل التطوعي. نشطاء التجربة كان الهم إنتماءات تنظيمية، لم يكونوا يعلنون عنها بإعتبارها عملاً سرياً، لكن الإنحياز التنظيمي لم يكن يأخذ طابع التعصب، الكل كان يعمل على أساس إنجاح فكرة العمل التطوعي وظاهرة العمل التطوعي بمعزل عن الإنتماء التنظيمي، وهذا

كان عنصر قوة، لو كان هناك تعصب تنظيمي لما أخذت الفكرة ما أخذت من الزخم.

كما لم يكن للقوى السياسية في تلك الفترة أي دور مالي في دعم تجربة العمل التطوعي، كانت التكاليف قليلة، وكان التمويل ذاتي من الأفراد المنتمين، كان التمويل يُغطى من قبل مؤسسات ذات طبيعة عامة، مثل جامعة بيرزيت، بلدية رام الله، بلدية البيرة، ويعني أحياناً بعض أصحاب رؤوس الأموال. لم يكن دور القوى السياسية في تجربة العمل التطوعي سلبياً ومحبط ولكنه لم يكن العامل الأساسي وراء الإنطلاق والزخم الذي أخذته تجربة العمل التطوعي. حتى بداية الثمانينات لم يكن هناك إستغلال تنظيمي أو سياسي لظاهرة العمل التطوعي، كان الإنتماء والإخلاص للفكرة بحد ذاتها.

عن تجربة المخيمات الصيفية ومخيم الناصرة بشكل محدد، بعد دخول العمل التطوعي مرحلة الإنتشار أخذ أشكالاً أكثر تأثيراً من نوع إقامة المخيمات الصيفية أو مخيمات المواسم، من ضمن المخيمات التي أذكرها مخيم سنوي منتظم في كل من جامعة بيرزيت وسرية رام الله، من خلال هذه المخيمات بدأنا بحوار مع أهلنا في 48، للتأكيد على وحدة شعبنا الفلسطيني في كل أماكن تواجده، حصلت إتصالات مع بلدية الناصرة، التي كان رئيسها في حينها توفيق زياد، وبعد لقاءات تحضيرية وتشاورية، كان هناك تجاوب عال من جانب البلدية وشخص توفيق زياد، وجرى ترتيب لإقامة مخيم صيفي منتظر عرف بمخيم الناصرة، كان مردود المخيم جيداً للمتطوعين وللمدينة، إستمرت التجربة بشكل مثابر لبداية الثمانينيات، ثم دخلت في مرحلة التراجع إرتباطاً بالتراجع اللي طرأ على تجربة العمل التطوعي بشكل عام.

بعد منتصف الثمانينات وبالتحديد مع الإنتفاضة الأولى في 87 كانت طبيعة الصدام مع الإحتلال ذات وتيرة مختلفة، وتيرة أكثر حدة عبرت عن نفسها بالإنتفاضة، التي أبرزت تجليات جديدة لأشكال المقاومة سواءً العنيفة أو الأقل عنفاً من نوع المقاطعة، العصيان المدني، رفض الضرائب، مقاطعة الإدارة المدنية، هذه الأشكال فرضت تجليات جديدة لاشكال المقاومة والتطوع أيضاً، تختلف عن الشكل القديم مثل موضوعة التعليم الشعبي، تعبيرات صحية تطوعية، صار هناك ضرورة لتعبيرات مختلفة أكثر مهنية أكثر إحترافاً من تجربة العمل

التطوعي بالشكل الذي كان قائماً، هذا أسس تدريجيا لبروز دور المنظمات الأهلية في تلك الفترة، التي حلت مكان الشكل السابق للعمل التطوعي، بحيث أصبح التطوع مدفوع الأجر، وهذا هو الفرق النوعي ما بين تجربة العمل التطوعي الأصلية وتجربة العمل الأهلي الذي نقل تجربة الخارج في العمل الأهلي الى الداخل، تم نقل تجربة العمل الأهلي الموجود في أوروبا، أمريكا حرفياً (تقريباً) إلى الداخل، هذا سجل ثغرة أو نقطة ضعف على الأشكال الجديدة للعمل التطوعي، وتراجع العمل التطوعي.

لاحقاً تشكلت السلطة الوطنية التي أدخلت معايير جديدة لكل شيء وليس فقط للتطوع، كل شيء بات مدفوع الأجر، وهذا ا كمل ما حدث في فترة بروز المنظمات الأهلية اللي عملت نقلة بين التطوع الخالص إلى التطوع المدفوع الأجر، هذا للأسف جزء من التشوه الذي حصل.

لا وصفة سحرية لدي للخروج من الأزمة، لكن إذا رجعت إلى التجربة اللي خضناها أقر أن هذه الفترة أصعب من السبعينات، كان هناك وضوح لدى شعبنا، في هذه المرحلة هناك إلتباس، فقط من خلال مجموعة من المبادرين يكون لديهم جلد وصبر يمكن ان يثابروا ويراكموا، حتى تكون الناس مقتنعة بالفكرة وتخوضها بالتدريج مع إدراكها أن ظرفها صعب، أصعب بكتيير من فترة السبعينات.

إذا كان من إقتراح فهو عقد لقاء أولي، يتم طرح السؤال القيم جداً: حول إستراتيجية للتطوع وإعادة الإعتبار له وكيف يمكن ان نبدأ؟، الجواب هو حصيلة هذا التفكير الجماعي، دائماً بحاجة لمبادرين، جديين وعندهم الإستعداد للتضحية حتى تنتصر فكرته، الخدمة الوطنية ربما يساء فهمها وهي بحاجة لسلطة عليا تتبناها، إلزام جامعة بيرزيت تم في غياب سلطة وطنية ووجود سلطة إحتلال. يمكن صياغة التجربة وتقديمها للطلاب كجزء من تاريخنا في مادة التربية الوطنية.

13-11. سليم البسط

تاريخ إجراء المقابلة: 17/04/2010

أجرى المقابلة: رنا بكير

تفريغ وطباعة: محمد مصلح

تحرير وتنقيح: جبريل جحشان

عميد المكتبة وعاشقها، حيث إنطلق بالتطوع يعمل الآن أميناً للمكتبة التي رعت العمل التطوعي وشهدت صرخة الولادة الأولى، لداوي يسكن البيرة بعد أن كان يعيش في مخيم الأمعري تقلب بين السجون والكتب، لا تسأله عن كتاب إلا ويحدد لك مكانه بدقة، اكتسب ثقافة عالية من خلال عيشه بين الكتب ومن التعامل مع رفوفها، بسيط ودود، وخدوم تلك مزايا إكتسبها من عمر تطوعي.

يقول سليم البسط: كنا نمارس العمل التطوعي دون أن يكون لدينا المفهوم، ظروف المخيمات في الستينات كانت صعبة جداً: لا شوارع، لا ماء ولا كهرباء، كان الشتاء في المخيمات نقمة: فالبيوت من الصفيح والشوارع طينية، كانت السيول تداهم البيوت، كنا نلبس الجزم ونخرج لشق أقنية للماء ونبعدها عن البيوت، فكان العمل التطوعي عفوي دون تنظيم، هذا كان قبل إنطلاقه كفكرة وطنية تبلورت في عام 72.

العمل التطوعي في 72 كان له صورة أخرى، كان وراء فكرته رئيس بلدية البيرة الأسبق « عبد الجواد صالح » وبعض المثقفين في جامعة بيرزيت مثل: منير فاشة وسليم تماري، والفكرة تم تأسيسها بناءً على نقص الإمكانيات ونقص التمويل، إستطاعت الحركة الطلابية أن تندمج في المجتمع. أول عمل تم تنظيمه في مخيم الأمعري كان رصف الشوارع، طلب مني عبد الجواد صالح أن أصطحبه للمخيم، فلما دخلنا الأزقة وطرحنا الفكرة على الناس إستقبلوها بمشاعر مختلطة: منهم من أيّد ومنهم من تشكك، كنا نعمل وبعض الناس تتفرج، ولما رأونا ننقل الحجارة من على بعد مئات الأمتار، جاءت النساء وحملت على رؤوسها أوعية وصارت تنقل معنا حجارة، إنزرعت الفكرة في داخل المخيم، وصار الناس من تلقاء أنفسهم يجمعون تبرعات، ويرصفون

الشوارع. ساهمت ببعض الأعمال التطوعية في قرى، رافق العمل أنشطة ثقافية مختلفة، محاضرات ثقافية، سياسية عن القدس، عن الإقتصاد الفلسطيني، عن الحركة الصهيونية وأطماعها، فالعمل التطوعي كان ذو شقين: عملي وثقافي.

ساهمت المرأة، منهم مثلاً: وزيرة الثقافة الحالية في العمل التطوعي، المرحومة مهى مستكلم نصّار كانت من جامعة بيرزيت، الغريب أن يقال أن المجتمع آنذاك كان منغلقاً!، أنا لا أرى أنها كانت منغلقة، أختي كانت تشارك بالعمل التطوعي ولم نكن نعارض، اليوم إذا تأخرت الفتاة خارج البيت تكون مشكلة، في السبعينات كانت تذهب إلى الناصرة، هذا شجع السيدات في القرى والمخيمات على العمل تطوعي، كان هناك بعض التيارات تجرم خروج المرأة والإختلاط، لكنها كانت أصوات قليلة وغير مؤثرة، ظلت المرأة فعالة في فترة السبعينات في العمل التطوعي.

كان التمويل من المجتمع المحلي، كان بعض التجار يمول أجرة الباص، يمول شراء أطعمة، والبلديات طبعاً كان لها دور رئيسي، كان التيار الديني إلى حد ما يعارض العمل التطوعي من باب محاربة الإختلاط. شعر الإحتلال مبكراً أن هذه الظاهرة يمكن أن تنمو وتنضج، فبدأ بتضييقات: كانوا يأخرون الباصات على الحواجز حتى ينتهي النهار، أحيانا يستدعون متطوعين ويعتقلونهم، ويجرون في المناسبات إعتقالات إحترازية.

أرى أن الجيل الجديد يجب أن يسلتهم تجارب الماضي، يوجد بداية ناجحة، العمل التطوعي الآن في بداية الطريق، هناك إعادة إحياء العمل التطوعي الذي هو تربية، بناء الإنسان يبدأ من التربية، وأهم فئة المجتمع هي الأطفال، يجب أن نخلق تواصلاً عبر محطات التلفزة وعبر الصحافة، عبر البريد الإلكتروني، عبر المحاضرات في الجامعات في المعاهد، والتأثير على الوزارات مثل: وزارة التربية والتعليم، وزارة الثقافة، لتكون الظاهرة منهجية وتربوية.

لم يكن وقتها إن جي أوز، أو تدفق للدولار، الظاهرة هبطت وبانت نقمة التمويل بآخر التسعينات، لكن العمل التطوعي ركد في الثمانينات قبل موجة التمويل، أحد الأسباب كان إعتقال كثير من رموز الحركة الطلابية وقيادات العمل الطوعي، أو أنها تركت الجامعات وسافرت

لتكمل تعليمها، أدى إلى إنقطاع التواصل مع الأصغر سناً، الآن تراكمت وتعطلت الأمور، مع وجود الدولار.

يجب أن يكون هناك تربية على التطوع من خلال المؤسسات، أهم مؤسستين بعد التربية هي: البلدية والجامعة، ويجب على المسجد أن يغير خطابه، أن يتكلم عن العمل الطوعي والإعتماد على الذات، في ظروفنا الحالية ظروف السلطة الوطنية الفلسطينية، في ظروف الهجمة الإستيطانية الشرسة على أراضينا وعلى عقولنا، للعمل التطوعي مهمة إعادة الوعي للذات، إحياء الذات، كثير من المؤسسات بحاجة إلى عمل تطوعي، وليس لديها ميزانيات.

أنا لم أشارك بمهرجان الناصرة للأسف، العمل التطوعي بدأ في الضفة وإرتحل إلى الناصرة، أيام الشاعر المرحوم توفيق زيّاد، لأن إسرائيل حددت الميزانيات على البلدات من المدن العربية، فإستحضر فكرة العمل التطوعي، لإقامة مشاريع ولسد العجز في التمويل، ثم إرتحل من الناصرة إلى أم الفحم، هناك كان يؤخذ دمج العمل اليدوي بالعمل المهني الحرفي، الناصرة تجربة إرتقت بالعمل التطوعي في كل المجالات، رافق العمل التطوعي نهضة في الزجل والشعر الفلسطيني والغناء، في التصوير وفي السينما، صار العمل التطوعي حالة شعبية ووطنية.

القيم يجب أن تنشأ مع الأطفال، في الستينات كانوا يعلمونا الزراعة، آمل أن أرجع للمشاركة في العمل التطوعي. التوثيق مهم جداً، الذاكرة مهمة، من المهم أن نبحث عن كل شي جميل بحياتنا ونقدمه للأجيال القادمة.

13-12. سهام البرغوثي

تاريخ إجراء المقابلة: 21/04/2010

أجرى المقابلة: رنا بكير

تفريغ وطباعة: محمد مصلح

تحرير وتنقيح: جبريل جحشان

من ميادين التطوع إلى السجن، إلى النضال النسوي إلى الوزارة، تلك هي حكاية امرأة بسيطة، آمنت بقدرتها وبشعبها ووطنها فأعطت ولا زالت، إنها اليوم وزيرة الثقافة المناضلة سهام البرغوثي « خريجة المحاسبة » ولا ترى في عملها المهني سوى ترتيب أمور حياة، بينما ترى شخصيتها في كونها إمرأة مناضلة، كانت من المبادرين والمبادرات في عام 1973 لتشكيل أول فريق للعمل التطوعي، للنهوض بالوضع الشبابي، وتعزيز صموده وتعميق انتمائهم الوطني من خلال تكريس الحوار والنقاش والديمقراطية وتقبل الآخر.

تقول سهام البرغوثي: في ظل غياب سلطة وطنية فكرنا كيف نساند ونساهم في تقديم بعض الخدمات لمجتمعنا، ومن خلال العمل التطوعي، أثبتت التجربة مدى إستعداد الناس في المجتمعات المحلية وتقبلهم للفكرة، كان هناك رسالة نريد توصيلها للإحتلال: أنه رغم الإحتلال هذا بلدنا وأرضنا، نحن المعنيين بنظافتها وبتجميلها وبمساعدة ناسنا.

بدأت الفكرة بأن كنا مجموعة شباب وشابات أعضاء في جمعية الشابات المسيحية في القدس تحت إسم نادي الغد، وخلال حوارنا وجدنا أن فكرة العمل التطوعي متأصلة في مجتمعنا، وتحمس الشباب للفكرة وأخذوا على عاتقهم تحويل الفكرة إلى فعل، يبدأ بأعمال تطوعية، تبلورت الفكرة بضرورة الإلتقاء مع رؤساء مجالس البلديات عبد الجواد صالح والمرحوم كريم خلف، عرضنا عليهم الفكرة وقدموا لنا عرضاً باستخدام مكتبة بلدية البيرة وإستخدام مكتبة بلدية رام الله لعقد الإجتماعات وتشكيل هذا الفريق وأن ننطلق من هناك، بدأنا بمساعدة طلبة التوجيهي، إلقينا تجاوباً من الطلاب وأشركناهم بعد نهاية الإمتحانات في أعمال توعية، كبر الفريق صار مشكل من أجيال، لم يكن لنا رئيس، كل مرة كان يدير الإجتماع شخص نختاره

من بيننا، كنا نجمع النقود من جيوبنا إذا كان هناك ضرورة، نسقنا مع المدارس مع الجامعات، طرحناها على جامعة بيرزيت، أن تكون من ضمن المساقات، إتصلنا بنابلس، بالخليل شكل أهاليها لجان عمل تطوعي، إنتشرت الفكرة أيضا بغزة، إنتشرت الفكرة بشكل أوسع.

في المجال العمالي والطلابي تعززت مبادرات أكثر، كل قطاع صار يشعر أن عليه تقديم عمل تطوعي بمجال تخصصه، وبالتالي فتحت كثير من الآفاق لتنشيط وربط العمل التطوعي بالحركة الجماهيرية في الوطن، والمطالبة بتنظيم هذا العمل الجماهيري حتى إرتقى العمل الجماهيري بالقطاعات المختلفة، وكانت الشرارة الأولى من خلال تشكيل فرق الأعمال التطوعية.

بدأنا كنساء بعدد قليل جداً، كنت أنا وشقيقتي وأخريات قلائل، وكان هذا تحدياً لنا في تحول دور المرأة من دور إنجابي إلى دور إجتماعي، عملنا في أعمال مخصصة للرجال بإصرار وعزيمة، هذا أعطانا دفعة، طلاب وطالبات جامعة بيرزيت نزلوا لتنظيف الشوارع ومعهم طالبات فزاد عددنا، كان لدينا مراعاة للأعراف، وكان المجتمع يحترم ويقدر من يعطيه، كنا نلاقي تقديراً وإحتراماً عالياً من أي تجمع كنا نذهب إليه، أنا بتجربتي كنت ألاقي كل التقدير والإحترام مع كل المؤسسات أو المجتمعات المحلية التي إشتغلنا معها.

كان بعض من شاركونا العمل منتمين لأحزاب، وكان هناك دائما نقاش سياسي ونقاش للكتب، نتيجة النقاشات حسم البعض أمره بالإنتماء لأحزاب وتنظيمات سياسية، معظم الذين شاركوا في العمل التطوعي تعرضوا لعملية إعتقال، وأخذت بذلك التنظيمات والأحزاب تجربة العمل التطوعي. أعطي تجربة ذاتية: أنه من خلال العمل التطوعي كيف بلورنا في الجبهة الديمقراطية طريقة للعمل في أوساط النساء، كنا مبادرين وشكلنا لجنة العمل النسائي على غرار فريق العمل التطوعي، العمل التطوعي كان مثل كرة تلج وكبرت وتفرعت وأعطت الخبرة في كافة المجالات، هذا أدى لإندلاع الإنتفاضة الأولى، نتاج تراكم تجربة الأحزاب والتنظيمات السياسية في كيفية تنظيم الجماهير، والعمل التطوعي كان أحد الأدوات وأبرز الأدوات في تطوير منهجية العمل الجماهيري المنظم.

كنا نتعاون مع البلديات، وبالتنسيق والتشبيك مع مخيم الناصرة صرنا نشارك بأعمال تطوعية في الداخل وخاصة في مخيم الناصرة التطوعي، وهذا أعطى دعماً وإسناداً لفرق العمل التطوعي وعملية التواصل ما بين الفلسطينيين في القدس وفي الضفة الغربية وغزة مع شعبنا في 48 تحديداً في الناصرة من خلال العمل التطوعي، وصارهناك تقليد سنوي للمشاركة في هذا المخيم بأعداد واسعة من فرق العمل التطوعي.

كانت تجربة دون مأسسة وغير إعتيادية، مفتوحة العضوية لا ثبات في العضوية، هذا أثر على التراكم وتطوير الخبرات، ربما ساعد ذلك في المرحلة الأولى، ولما تمأسس العمل التطوعي حدث خلل في المفاهيم فصارأداة سياسية.

حالياً نحن نتحول لقضية ذاتية، بمعنى أن كل عمل نقوم فيه يجب أن يكون له مقابل، هذا إضعاف كبير لمفهوم العمل التطوعي، الحق في الحصول على العمل شيء طبيعي، لكن يجب أن يكون هناك تطوع، عديد من القضايا لا يمكن تنفيذها إلا من خلال عمل تطوعي.

فرضت الدول المانحة للتمويل في التنمية عمليات مثل تحديد الإحتياجات وكيفية وضع خطط التنمية، هذا كنا نمارسه دون تدريب، كنا نذهب إلى أي تجمع سكاني، نناقشهم بإحتياجاتهم ومواردهم، وكانت المشاركة فعلية وعلى قدم المساواة.

هناك تراجع كبير، للأسف يوجد إستخفاف بمفهوم العمل التطوعي، ساد مفهوم المقابل، غلبت فكرة الأنا على المفهوم العام، حتى عند عقد ورشة عمل يجب أن أغطي المواصلات ووجبة غذاء وصار الأمر ملزماً، لا بد من إعادة الإعتبار لقيمة التطوع، هي قيمة متأصلة ومتجذرة في مجتمعنا وبالتالي علينا أن نحافظ عليها .

الإلزام في العمل التطوعي مشكلة، لا أعرف مدى نجاح الساعات المعتمدة للعمل التطوعي في الجامعات، لابد من التوعية بأن العمل التطوعي يسهم في مساندة وإسعاد الآخرين. في التشريع إذا صار ملزماً فالتخلف عن المشاركة معناه مخالفة القانون هذا بإعتقادي لا يتماشى مع قيمة العمل التطوعي، لكن هناك ضرورة لإلزام المدارس بأن يكون هناك تطوع، يمكن وضع خطة إستراتيجية بمشاركة معظم المؤسسات ذات العلاقة.

يجب إعادة الإعتبار، وإعادة تعميم القيمة للعمل التطوعي كقيمة مرتبطة بتقدم المجتمع، وكلما كان إستعداد المجتمع للعمل التطوعي، كلما عبّر عن تماسكه وحضارته، يحتاج الأمر إلى حملة وطنية لإعاة الإعتبار لمفهوم العمل التطوعي حتى نستطيع كسر بعض المفاهيم وتغييرحالة الأنا السائدة، نحتاج إلى وضع خطة إستراتيجية وطنية عامة، وأليات عمل لتنفيذها.

نحن فعلاً بحاجة لمبادرات تقوم على إعادة الإعتبار لمفهوم العمل التطوعي لإنو له ضروریاته الآن، ونحن بأمس الحاجة لإعادة الإعتبار لأننا فعلاً في مرحلة التصدي والتحدي للواقع الذي نعيشه، يجب أن نلغي الإستخفاف بالعمل التطوعي.

13-13. سونيا نمر

تاريخ إجراء المقابلة: 03/09/2013

أجرى المقابلة: صابرين نصار

تفريغ وطباعة: صابرين نصار

تحرير وتنقيح: جبريل جحشان

ناشطة طلابية ونسوية عتيقة، إرتبط إسمها بالحركة الطلابية في جامعة بيرزيت، تنتمي لعائلة عريقة ولها باع طويل في العمل الوطني والثقافي، وهي من النساء الأوَل اللائي بادرن للعمل الجماهيري في الضفة الغربية، لها من البساطة ما يوحي بالضعف، ولكنك حين تعرفها تجد نفسك أمام فلاحة قوية عركتها السنون. تعرضت للإعتقال قبل أن تنتسب إلى جامعة بيرزيت، في عام 1973 أنهت دراستها في الجامعة، وأكملت تعليمها حتى الدكتوراه في التاريخ، ثم عادت لتدرس في جامعة بيرزيت، وخلال فترة وجودها في الجامعة إنخرطت في الحركة المسرحية الناشئة، كما كانت إحدى رائدات العمل التطوعي.

تقول سونيا نمر: في فترة ما قبل 1973 كانت كل التنظيمات سرية، ولم يكن هناك حراك سياسي إلاّ بعد 1974، بعد أن تم الإعتراف بمنظمة التحرير كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني، حيث بدأ نوع من العمل الجماهيري وأصبح العمل التطوعي جزءً منه كما الحركة المسرحية وإحياء الفولكلور، يرجع الفضل في ميلاد الحركة التطوعية إلى منير فاشة وعبد الجواد صالح، وكان الهدف بث وعي وطني ومجتمعي متقدم في أوساط الشباب، ولم يقتصر هذا الحراك على الضفة بل إمتد لمناطق 48.

فترة السبعينيات كانت هي الفترة الأكثر توهجاً في الحراك، عرفت المسرحيات والأعمال الفنية والدبكة، وكان يعرض في مناطق 48 كما يعرض في الضفة، كانت الحركة المسرحية في أوجها، وتعددت الفرق المسرحية بدون دعم، كان الجهد دائماً تطوعي، كنا نحن من نكتب و يكنس و يطبع التذاكر، ويخيط الملابس، كل المسرحيات تعرضت لمراقبة الضابط الإسرائيلي، هذا جعل الشباب والصبايا العاملين في المسرح يعيدو ن كتابة مسرحياتهم بشكل رمزي أو يبتدعوا طرقاً مختلفة لإيصال الرسالة السياسية خارج رقابة ضابط

المراقبة الإسرائيلية. فرقة بلالين سافرت إلى لبنان حتى أن « الجارودي « وهو فنان مشهور طلب الإستماع إلى تجربة الفلسطينيين وتجربة العمل التطوعي كإبتكار في المسرح. في نفس الفترة نشأ عدد كبير من الفرق الدبكة، والعاملات بالتطريز كل هذا كان نوعاً من أنواع المقاومة للحفاظ على الهوية.

لم ينظر الإحتلال للعمل التطوعي بعين الرضا، كان يعتبرها عملاً مشاغباً بالمحصلة, لأنه غير معني بالتكافل والتواصل في المجتمع، أو أنه غير مرتاح لمساعدة الفلاحين أصحاب الأراضي المهددة بالمصادرة، من شاركوا بالعمل التطوعي كان لهم باع في السياسة، فجزء كبير منهم إعتقلوا ليس لأنهم إشتغلوا عمل تطوعي، لكن لوعيهم السياسي. ربما لم نحدث فرقاً إقتصادياً بالنسبة للناس، لكن الأكيد أن دعم الفلاح بقطف الزيتون أو تعمير الأراضي المهددة بالمصادرة كان مقاومة وتعبئة وتنظيم و نضال. لو أعدنا التفكير اليوم، وقلنا: أن في الجامعة عشرة آلاف طالب يحملون أنفسهم ويساعدون قرية أراضيها مهددة بالمصادرة أو يتظاهرون على حاجز، ماذا سيحصل على صعيد الناس؟، أولاً وعلى صعيد المقاومة الشعبية بعد إندلاع الإنتفاضة الأولى تبلورت منظمات شعبية تطوعية في مجال الصحة والزراعة، الإنتفاضة إعتمدت كلها على العمل التطوعي، كعمل جماهيري تلقائي بدون تسييس بدون تسيير.

بين 73 - 74 بدأ الحراك في داخل الجامعات، سواءَ من حيث فتح الجامعات أمام الجميع وتخفيض الأقساط، وصار هناك نشاط نقابي, لما خرجت من السجن فوجئت بأن العمل التطوعي صار إجبارياً، ومن سنة 1975 إلى اليوم إختلف الوضع، النضال والحراك الشعبي الذي كان بالسبعينات والثمانينات والإنتفاضة الأولى ليس هو نفسه بعد أوسلو، صار لدينا سلطة ومنظمات أهلية، وبالتالي تحول العمل التطوعي من حراك مجتمعي إلى مسخ. الوضع الثوري ينتج أساليب وأدوات ثورية, اليوم ما في وضع ثوري، 99% من الشباب يفكرون بالهجرة، وعندما بتخرج من الجامعة إذا لم يحصل على وظيفة مريحة يُحبط.

في أواخر الثمانينات وبداية التسعينات حدث فراغ, الاحتلال تراجع تأثيره وبنفس الوقت لا وجود لمؤسسات بديلة، في هذه الفترة إنتعشت المنظمات الأهلية، وأعتقد أنها شكلت خطراً غير قليل على المجتمع

الفلسطيني، علمّت الشباب إشي خطير « لا تقم بعمل إلاّ إذا كان مدفوعاً « والسلطة عممت الوظائف دون إنتاج، أصبح هناك مفاهيم جديدة في المجتمع, أفكار جديدة كسرت فكرة المقاومة بالعمل التطوعي.

التنظيمات تراجعت مثلما تراجع كل شيء ما بعد أوسلو, الإنتفاضة الثانية تسلحت وهذا ليس عملاً جماهيرياً، التنظيمات بكل أسف تراجعت وهي تلعب لعبة الكراسي، وهذا أبعدهم عن كونهم مؤسسات جماهيرية وصاروا أحزاب، لا شك أن التنافس بين التنظيمين الأكبر فتح و حماس إنعكس على التنظيمات الأخرى.

في السبعينات لم يكن الدين الدين السياسي يتحكم بالناس، بعد عام 89 في فلسطين نشأت حماس فحصل تحول الدين إلى سياسة, في عملنا التطوعي طالما هاجمنا بعض المتدينين بحكم الإختلاط، كنا نشتغل مع بعض مدركين الفكرة, بعد ذلك حشرت (حجزت) الحركات الإسلامية المرأة بالزاوية وهذا بنطبق على التنظيمات.

يجب أن نبدأ مع طلاب الجامعات وطلاب المدارس, ولا يمكن إقناع أحد بالعمل التطوعي إذا لم يقتنع قبل ذلك بأنه هو جزء من حركة عامة، اليوم أرى كتيراً من طلاب جامعة بيرزيت يشكلون جمعيات لهدف ما مثل القراءة للأطفال، من مرضى الثلاسيميا هؤلاء هم البداية ولنوسع الدائرة ، المجموعات الشبابية المستقلة فكرة جيدة، التنسيق بينها يخلق حركة ذاتية الدفع، ولكن يجب الحفاظ على ديمومتها وعدم تأثرها بإنهاء مرحلة الدراسة والإنشغال في الوظيفة مثلاً. المأسسة خطر على العمل التطوعي، حيث يضحي وظيفة مربوطة بالتمويل الخارجي، لقد أصبحنا شحادين أفراداً وجماعات.

العمل التطوعي هو مبادرات لا تحتاج لخطط إستراتيجية، فمن يضع الخطة يمأسس العمل، ولكن يجب أن تكون هناك رؤية واضحة للعمل التطوعي وأهدافه، هنا يمكن بعدها التخطيط لأهداف جزئية والتركيز على أولويات محددة.

13-14. عادل يحيى

تاريخ إجراء المقابلة: 08/05/2010

أجرى المقابلة: رنا بكير

تفريغ وطباعة: صابرين نصار

تحرير وتنقيح: حسين يحيى

نشأ في مخيم الجلزون وتلمس معاناته، ونظراً للظروف والواقع الذي عاشه في المخيم فقد أدرك منذ البداية ومن نعومة أظافره أهمية العمل التطوعي في تكاتف جهود المجتمع المحلي لتلبية الإحتياجات اليومية للمخيم والمقيمين فيه، أنهى دراسته من جامعة بيرزيت وأكمل تحصيله الأكاديمي حتى الدكتوراة في التاريخ، عمل محاضراً في جامعة بيرزيت لبعض الوقت، ثم قام على تأسيس المؤسسة الفلسطينية للتبادل الثقافي ويشرف على عملها الهادف إلى الحفاظ على التراث الحضاري للشعب الفلسطيني بكافة أشكاله.

يقول عادل يحيى: الحقيقة أن العمل التطوعي في تراث الشعب الفلسطيني ظاهرة قديمة جداً، بدت ربما مع وجود هذا الشعب على هاي الأض، الناس كان عندهم ظاهرة العونة في أقدم المجتمعات الفلسطينية المعروفة، كما أنهم كانوا يساعدوا بعض في بناء بيوتهم، في حصاد منتوجهم الزراعي، فظاهرة قديمة جداً ربما قدم الشعب الفلسطيني على هذه الأرض، بس بشكل منظم بدأت الظاهرة بتقديري تأخذ شكل جديد ومنظم أكثر في السبعينات، ويبدو لي أنها نشأت على خلفية سياسية، لأنو في السبعينيات التحدي اللي كان مفروض على الفلسطينيين وعلى وجودهم على هاي الأرض كبير، ولذلك بدأ يبرز تقدير أعلى لظاهرة العمل التعاوني والعمل المجتمعي، لذلك تمت عملية تنظيم لهذا الجهد من قبل العديد من الأفراد والمبادرين والمؤسسات سواءً كانت مدارس أو جامعات أو غيرها لتنشيط هذا العمل، توسيعه وتنظيمه، والوصول ربما لمناطق ومجتمعات مكنتش في وضع يسمحلها إنها تستفيد من مقدرات مجتمعها وحده في إنجاز المهمات المطلوبة منها، في المجتمعات الزراعية مثلاً: في منطقة الأغوار، في منطقة الشمال، ما كانت ظاهرة العونة كافية إلها ولذلك كانو بحاجة لمساعدة أكتر من المجتمعات الحضرية، وبدت الظاهرة

كظاهرة حضارية في البلاد، في المدن وفي المؤسسات التعليمية، وكان المقصود منها إنها تقدم الخدمات للمجتمعات المهمشة بالعادة، المجتمعات الزراعية، المخيمات، القرى.

أنا بعتقد إنو الإحتلال وتحديات الإحتلال والتهديد اللي بمثلوا على المجتمع الفلسطيني، وعلى الوجود الفلسطيني على هاي الأرض، هوي اللي كان الحافز وراء بروز ظاهرة العمل التطوعي المنظم في البلد في فترة السبعينات وفي أوائل الثمانينات، لأنو الناس كانت تشعر بخطر حقيقي على وجودهم على هاي الأرض، وكانوا بشوفوا إنو الوسيلة لتحدي الإحتلال والبقاء على هاي الأرض هوي العمل الطوعي (العمل التعاوني) ومساعدة المجتمعات والمناطق اللي أكتر تهميشاً، واللي أكثر فقراً في المناطق الفلسطينية.

أنا نشأت في مخيم الجلزون اللي هو كمان واحد من المناطق المهمشة، وكان بأمس الحاجة للعمل التعاوني « التطوعي « الشوارع كانت غير مرصوفة، وظروف الناس الإجتماعية صعبة، فصول السنة كانت شاقة على الناس خاصة في الشتاء، ولذلك من البداية كنت مدرك لأهمية العمل المشترك أو العمل التطوعي والعمل التعاوني في البيئة اللي نشأت فيها، كان واضح في ضرورة لتكاتف جهود المجتمع المحلي، والناس المباردين والشباب الصغار حتى في هداك الوقت لخدمة مجتمعهم، كانت الحاجة موجودة أمامي مثل ما هي موجودة أمام كل الناس اللي في هاد الجيل، وطبعاً نتيجة تجاهل الإحتلال وعدم توفيره أي خدمات للمجتمعات المهمشة بكاملها، سواءً كانت في القرى أو المخيمات، كانت بتلقي بعبئ كبير على المخيمات وأبناء القرى والطلاب سواءً في المدارس أو الجامعات إنهم يقوموا بدور لخدمة مجتمعهم المحلي، ومن هون كانت الفكرة، يعني بدأت إنو نظف الشوراع، نصب الشوارع بالإسمنت أو بالزفتة، وكانت وكالة الغوث إلها دور بهاي المسألة (تشجع على هاي الظاهرة) وكانت توفر إلنا بعض الأدوات، وبعض المواد الأساسية مثل: الإسمنت والحجارة وما شابه نرصف فيها الشوارع، من هون بدت. وأنا شب صغير يعني كنت في سن المراهقة، وكان هاد العمل مهم لأنو بيستوعب طاقات مخزونة عند هاد الجيل وجيل الشباب اللي في هاد السن، في طاقة هائلة كانت تبحث عن مجال للإستغلال، ولقينا إنو فرصة لنخدم مجتمعنا ونفرغ هاي الطاقة بشكل إيجابي في

المخيم بالبداية، وبعدين إنتبهنا إنو في أماكن أخرى ممكن تكون بحاجة لهذا الجهد، فإنطلقنا كمان لهناك لقرى أخرى ولمناطق أخرى، بدت تتشكل بهديك الفترة بعض اللجان، لجان العمل التطوعي في المدن وحتى في المخيمات والقرى، ومنها إنطلقنا لمناطق جديدة وبعد ما رحت على الجامعة، طبعاً إكتشفت إنو في هناك كمان برنامج لتشجيع العمل التطوعي، وزاد إنتمائي لهاي الظاهرة أكتر واكتر، وأعتقد بإنو في مرحلة من المراحل صرت واحد من أحد النشطاء في هاد المجال، بديش أقول أحد القياديين، بس يعني نشطاء في هاد المجال، لأنو صار يوخذ جزء كبير من وقتي ومن إهتمامي، والظاهرة نفسها كانت تترسخ يوم بعد يوم خاصة في بدايات السبعينات والنص التاني من السبعينات لحد أوائل الثمانينات، كانت الظاهرة منتشرة على نطاق واسع في كل الضفة الغربية.

في البداية ما كان في لجان، في البداية كانت الأمور تتم بشكل تلقائي، الناس يستشعروا حاجاتهم الملحة ويجتمعوا مع بعض ويشتغلوا بدون تنظيم، بدون أي شكل من أشكال التنظيم في البداية، في بداية السبعينات بقدر أقول (بعد الإحتلال الإسرائيلي مباشرة)، أو يعني في وسط السبعينات بدأت اللجان تتشكل وتوخذ شكل تنظيمي إلها وتطورت هاي الحالة في أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات.

المشاركة النسوية كانت محسوسة من البداية، ربما حتى دور النساء كان أقوى من دور الرجال في هاي الفترة، ربما مش عددياً بس من ناحية عملية، دور البنات كان محسوس أكتر، مهم أكثر، لإن البنات أيضا كانوا بحاجة لتفريغ طاقات إيجابية في داخلهم، وكان هذا المجال ربما الوحيد اللي متاح الهم عشان يفرغوا هاي الطاقات، ولذلك كان في إقبال شديد من البنات على هذا النشاط، وهذا عنصر جاذب كان برأيي للعمل التطوعي، والبنات والشباب كانو مع بعض يشتغلوا ولو إنو كان في معارضة من المجتمع الفلسطيني التقليدي لهاي الظاهرة (ظاهرة عمل الشباب والبنات مع بعض) إلا إنو كان عامل جذب هذا، مع إنو كان في معارضة مجتمعية، شجع هذا ربما الشباب المبادرين والطلائعيين إنهم يشتغلوا مع بعض أكثر، وبحماس أكثر، ولذلك دور العنصر النسائي كان كثير مهم من البداية. وفي العمل اللي قمنا فيه ما كان في تمييز إطلاقاً بين النساء والرجال، نفس الإشي اللي كانوا

يعملوه الشباب كانوا يعملوه النساء، مثل: رصف الشوارع، تنظيفها، قطف الثمار سواءً زيتون أو بندورة أو غيره من المنتجات الزراعية، والحصاد، يعني كلها أعمال كان ممكن كل البنات والشباب يقوموا فيها على قدر المساواة.

أغلب المجتمع المحلي من البداية للنهاية ضلوا مؤيد جداً لهاي الظاهرة وحاميها ومرحب فيها، التفاعل القوي بين المجتمع المحلي والمتطوعين، كان المجتمع المحلي جاهز إنو يقدم الخدمات المطلوبة بكافة أشكالها: الطعام، المشروبات، الشاي، القهوة، المكان، الضيافة، الحماية، المساعدة في العمل اللي كان يتم، لما كنا نشتغل مع الفلاحين في قطاف ثمارهم كانوا يشاركوا بنفس الدرجة وبنفس الحماس، وكانوا يوفروا كل الخدمات اللي مطلوبة للمتطوعين، وترحيب بالضيوف وحمايتهم، والتعارف عليهم والإختلاط معهم، وتبادل المعرفة والخدمات، فكان دور المجتمع المحلي أساسي ما بقل أهمية عن دور المتطوعين نفسهم، بعدين كان بشجع هاي الظاهرة، كان في تفاعل كثير إيجابي بين المتلقين لخدمة العمل التطوعي اللي هوي المجتمع المحلي، وبين المتطوعين أنفسهم، وهاي ظاهرة كثير إيجابية وللأسف إنو في الفترة الأخيرة ضاعت هاي الروح الإيجابية بين المتلقين والمقدمين لهاي الخدمة.

مهرجان الناصرة للعمل التطوعي كان الو دور مهم جداً، يعني كانت هاي نوع من الجائزة اللي كانوا المتطوعين يتلقوها، إنهم يروحوا لمخيم العمل بالناصرة، اللي كان يرأسها في ذلك الوقت إدارة تقدمية بتنظم مخيم سنوي لعدة أيام، وكانت هاي الجائزة اللي بحصلوا عليها المتطوعين بالعادة إنهم يروحوا لمنطقة بعيدة نسبياً (الناصرة) ويحتكوا مع زملائهم ومعارفهم الفلسطينيين اللي إنقطعوا عنهم لفترة طويلة، وكانت جائزة كبيرة للناصرة إنهم يلتقوا بالمتطوعين من كل فلسطين، فكانت الجائزة الكبيرة اللي هي التعاون وزيارة الناصرة والتطوع والعمل فيها مع متطوعين دوليين، وكمان في تبادل الخبرات والمعرفة والتجربة، وبرأيي إنو مخيم عمل الناصرة لعب دور كبير في تشجيع هاي الفكرة، في جذب جمهور أعرض وأكبر من الفلسطينيين لظاهرة العمل التطوعي، لأنو كان يجتذب هذا الاف المتطوعين من كل مناطق الضفة الغربية رغم العقبات اللي كانوا بواجهوها

المطوعين في الوصول إلى الناصرة والمشاركة في هذا المخيم، لإنو ربما كان المنع يساهم في إقبال الناس بدرجة أعلى على هذا النشاط، لأنو في تحدي مفروض على المتطوعين، فكان يرفد الحركة بمزيد من المتطوعين سنة عن أخرى.

كان العمل التطوعي في رأيي كله إيجابيات، من ناحية هوي كان بقدم خدمة لازمة وضرورية في ظل إحجام سلطات الإحتلال عن تقديم أي خدمة للمجتمعات المحلية، خاصة المهمشة منها والفقيرة في القرى منها والمخيمات، حتى في الناصرة سلطات الإحتلال كانت مقصرة في واجبها مشان هيك بنقول إنو فلسفة عمل مخيم الناصرة كانت تقوم بأعمال ما كانت الحكومة الإسرائيلية تقدمها لجمهور البلدية التقليدية في الناصرة بذلك الوقت، يعني العمل التطوعي كان لملئ فراغ ناجم عن تقصير سلطة الإحتلال على تعبئته، يعني كان في فراغ والحياة بتكره الفراغ، يعني المجتمع المدني نشط لتعبئة فراغ نشأ عن سياسة الإحتلال التمييزية والعنصرية تجاه الشعب الفلسطيني، هاي الحسنة الأساسية أنا برأيي إنو الفلسطينيين قاموا بخدمة نفسهم دون إنتظار مساعدة من آخرين. الحسنة الأخرى إنو أشغل الشباب في نشاطات إيجابية، اللي كانوا من الممكن في ظل وجود الإحتلال وقمعه إنهم يتجهوا في أي إتجاه آخر، كان التطوع يوجههم في إتجاه إيجابي في خدمة مجتمعهم للقيام بعمل إيجابي ومفيد لمجتمعهم المحلي. من جهة ثالثة كان بساهم في تفاعل أكثر إيجابية بداخل المجتمع الفلسطيني بين المتلقين للخدمات والمقدمين لهاي الخدمات، فبخلق نوع من التلاحم في أوساطهم، كان بيساعد الشباب على التنظيم، على تنظيم أنفسهم في إطار مجموعات في أطر سياسية، في مقاومة الإحتلال بشكل أفضل، التنظيمات السياسية نشطت في أوساط العمل والعاملين المتطوعين، عشان نجد من بينهم أفضل العناصر للعمل السياسي المقاوم للإحتلال، وكانوا هم رافد مهم في الحقيقة للتنظيمات السياسية المختلفة، كانوا بيبنوا الناس المهتمين بالعمل الجماهيري وبالعمل السياسي، من خلال عملهم اليومي في لجان العمل التطوعي ... وبإعتقادي إنو كان نجاح باهر للفلسطينيين في هديك الفترة، وكان خطأ التخلي عن هاي التجربة في مراحل تالية.

للأسف في تراجع كبير في التوجه للعمل التطوعي في البلد لسبب

ما بعد مجيئ السلطة، على ما يبدو صار في تحميل للمسؤولية لطرف ثالث، في حين المجتمع المحلي شعر إنو ما بقدر يحمل المسؤولية للإحتلال، لأنو الإحتلال متخلي عن المسؤولية تماماً، ما كان في سلطة اللي تحملها المسؤولية للقيام بالأعباء أو القيام بالأعباء اللي بتطلبها التنمية المحلية، بطلبها الواقع المعاش من قبل الجمهور الفلسطيني، خاصة من قبل المجتمعات المهمشة، اليوم في طرف ثالث: حملوا الناس المسؤولية للسلطة، بقلك يعني خلي السلطة هي اللي تعمل، وهي اللي تقوم بهذا الدور، والمشكلة إنو السلطة ما بتقوم بهذا الدور، يعني لو السلطة كانت سلطة حقيقية، وعبأت الفراغ ولبت الإحتياجات اللي قائمة فعلاً للمجتمع الفلسطيني، كان الواحد بقدر يتفهم ربما غياب روح العمل التطوعي في أوساط الشباب الفلسطيني، بس الحقيقة إنو السلطة ما قامت بهذا الدور بس في وهم بوعي الجمهور الفلسطيني، إنو في هناك طرف ممكن تحميله مسؤولية تلبية حاجات المجتمع الفلسطيني الملحة، وللأسف هذا مش وارد ومش قائم ومش حاصل، ولذلك أنا بعتبر إنو كان خطأ كبير تخلي الناس والناشطين عن دورهم المجتمعي في العمل التطوعي، والإرتكان لواقع جديد ما ساهم في تلبية إحتياجات المجتمع الفلسطيني، أكتر بكثير مما كان عليه الوضع بزمن الإحتلال.

المشكلة إنو في خيانة من قبل الطبقة المثقفة، جزء من الطبقة المثقفة إنشرت للممولين الغربيين بأشكالهم المختلفة، وهدول برأيي خانوا مسؤولياتهم الإجتماعية، ولازم يرجعوا للتفكير في مجتمعهم المحلي وشو إحتياجاتهم، صار العمل يعني مرتبط أكتر بإحتاجات الممول منه بإحتياجات المجتمع المحلي، ولازم تتغير هاي الصورة، فلازم الناس يرجعوا يفكروا شو إحتياجاتنا إحنا وشو إحتياجات المجتمع المحلي، وليس شو إحتياجات الممولين اللي بفرضو أجندتهم علينا، إذا قدمنا إحتياجاتنا المحلية أنا متأكد انو رح نعيد الروح للعمل التطوعي وللعمل المجتمعي، وما رح يكون هناك مشكلة مطلقاً إنو تجندي مجموع الشعب الفلسطيني إذا ما كان كله او اغلبيته على الأقل وراء فكرة الخدمة المجتمعية من خلال العمل التطوعي.

وجود خطة وطنية إستراتيجية للنهوض بفكرة العمل التطوعي، هذا مهم جداً وهاي مسؤولية بإعتقادي أمام المثقفين بالأساس،

وأمام الفئة الأكثر وعياً من السياسيين والمثقفين في إنهم يعيدوا التفكير بإستراتيجيتهم، ويقدموا العمل التطوعي فيها، لأنوا ما في بدائل حقيقة قدام الفلسطينيين، والسلطة ما بتمثل بديل عن المجتمع المحلي، وتجربتنا في ال 14 سنة الماضية كافية عشان توري الناس إنو الإرتكان للمساعدات الخارجية، والإرتكان لدور المؤسسات الرسمية أبداً غير كافي، ويمثل ربما خطوة للوراء حتى عما كان قائم زمن الإحتلال، الناس بخجلوا إنهم يحكوا هاد الحكي، بس هاي حقيقة. المفروض إنو إحنا نقوم بدور تكميلي عشان نخلي أوضاعنا أحسن، بس الواقع إنو وضعنا مش أحسن بالضرورة عما كان عليه في السبعينات والثمانينات، لما كنا في عز نشاطنا بالعمل التطوعي.

الإحتلال ما تغير، المشكلة ما صرنا مستقلين بالمعنى الحقيقي للكلمة علشان نغير نمط سلوكنا ونمط تفكيرنا، بس إحنا غيرنا نمط سلوكنا ونمط تفكيرنا بدون ما نخلص من الإحتلال، مع انو الإحتلال ما زال موجود بس طرأ طارئ على الإحتلال، وهو وجود السلطة خلانا نغير نمط سلوكنا اتجاه العمل التطوعي على الأقل بدون مبرر، والمفترض إنو نستمر في النمط اللي كنا سايرين عليه في فترة الإحتلال لحتى يتحقق إستقلال حقيقي ودولة اللي تتولى مسؤوليات المجتمع وتلبية حاجاته بطريقة صحيحة، بس هذا الحكي ما تحقق وإحنا غيرنا نمط سلوكنا كلياً، 180 درجة عما كنا عليه في الثمانينات والتسعينات، وهذا مش منطقي، لانوا المفروض إنو يكون في تغيير بس مش بهذه الحدة، يعني صار تغيير 180 درجة بدون ما يصير تغيير في الواقع الإقتصادي والإجتماعي والسياسي الفلسطيني، حتى درجة مقاربة للتحول اللي صار بوعي الناس وسلوكهم وتوجههم اذا مجتمعاتهم المحلية مثل فكرة العمل التطوعي وغيرها من الأفكار الأخرى.

13-15. الراعي الأول للمسيرة ... عبد الجواد صالح

تاريخ إجراء المقابلة: 24/04/2010

أجرى المقابلة: حسين يحيى

تفريغ وطباعة: محمد مصلح

تحرير وتنقيح: حسين يحيى

عرف عنه إنشغاله الدائم بهموم الوطن، فكان من الطبيعي أن نراه في صميم الحركة الوطنية الفلسطينية وأحد رجالها الصادقين المخلصين، ولد عبد الجواد صالح في مدينة البيرة عام 1931 ، ومن بعد حصوله على الثانوية العامة إلتحق بجامعة القاهرة في مصر، فحصل على ليسانس إقتصاد سياسي عام 1955 وذلك عن أطروحة عبرّت عن قناعاته وإيمانه بالوحدة العربية، تحت عنوان « عقد إتحاد جمركي بين دول الجامعة العربية «.

يعتبر أبو صالح أصغر رئيس بلدية سناً حين تم إنتخابه رئيساً لبلدية البيرة في شباط 1967م حتى تم إبعاده من طرف الإحتلال الصهيوني (وهو يرصف أزقة مخيم الأمعري) بسبب موقفه الداعم لمسيرة العمل التطوعي وثباته على مواقفه الوطنية المناهضة للإحتلال.

عمل بعد ذلك رئيساً للمكتب التنفيذي لشؤون الوطن المحتل، ومديراً عاماً لمركز القدس للدراسات الإنمائية في لندن، ومن ثم وزيراً لوزارة الزراعة الفلسطينية، حيث تبوأ العديد من المناصب القيادية: عضو المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية، عضو المجلس الوطني الفلسطيني، عضو المجلس التشريعي سابقاً.

يبدأ أبو صالح حديثه: أنا المزبوط ما كنت رجل سياسي في البداية، كنت كشاف هذا النشاط الاجتماعي اللي كنت أقوم فيه، بس لما صارت النكبة وعملية التطهير العرقي الذي قامت به إسرائيل، غيرتني لحيوان سياسي، تغيرت كل حياتي، منهج حياتي وتفكيري وتوجهاتي في الحياة، وصرت بالفعل رجل أسأل أنا وأصدقائي شو نعمل، يعني صارت في الهجرة مآسي: بتعرف نساء بتبحث عن أبنائها ... تلاقيها حاملة مخدة بدل طفلها ... الخ، مآسي حقيقية، وكل المنطقة هاي صارت مخيمات تحت الأشجار، نساء ورجال يناموا فيها. وضع كان

صعب جداً، وإحنا كشباب وككشاف حقيقة بدأنا في إنه نساعد: نجيب مواد تموينية وغذائية، هاي غيرت، هلأ بعدين انا رحت على الجامعة لأكمل دراستي.

درست في جامعة القاهرة، كان في أجواء سياسية، إلتحقت في حزب البعث، مثل ما حكيتلك كان إهتمامي في الوحدة، وحل القضية الفلسطينية لا يمكن إنه ينحل بشكل فلسطيني فقط. فصار إهتمامي حقيقةً الإقتراح اللي قدمته على أساس إنه يحققوا هذه الوحدة على أساس إقتصادي مش على أساس سياسي (إنه عاطفة وبس) ونجحت فيها بالرغم إنه كان البروفسير إنجليزي وضايقني كثير، يعني ما كان بده أخوض في هالمعركة هاي، قلت له أنا رجل أؤمن بالوحدة، وبدي أشوف عملياً هاي الوحدة.

هلأ حتى 57 صارت الإنتخابات العامة في الأردن في الضفتين، حزب البعث رشح قائمة كاملة في كل المناطق، ما نجح فيها إلا غير إثنين، قلت لهم هذا الحكي في إشي خطأ في الحزب، إيش هو؟ مين مسؤول عنه؟ وكيف صار هذا الحكي؟. قالوا لي: يا عبد الجواد أسكت، قلتلهم: أسكت!، فقدمت إستقالتي.

فتركت الحزب وتركت الحزبية، من حينها على هذا الموقف الديموقراطي المتقجم، هلأ رحت لأعلم في ليبيا، في ليبيا وجدت وضع غير مناسب للفلسطينين، بتعرف بتهمونا بكذا (باعوا أرضهم وكذا)، وكان تنافس بين جاليات عربية مؤسف، معلمين عرب وفلسطينين، ويحرضوا الطلاب الليبيين، بس أنا بدون ما حدا يقول لي، في الصف يقولوا لي: إنتوا بعتوا أراضيكم، قلت لهم: باعوا مزبوط أراضيهم بعضم مش كلهم وهدول معدودين عالأصابع، بس إحنا كنا تحت الإنتداب وسياسة إنتدابية بريطانية التي كانت تجبر الناس على البيع .. يعني في أسباب، بس قيادتكم باعت للأمريكان أكبر قاعدة عسكرية أمريكية « ويليس اير بيس «، فهذول الشباب سكتوا، بحكي للفلسطينيين هيك، قالوا لي والله غير يطردوك، قلت لهم ويلا إنتوا ساكتين على الإتهامات هاي! .. قالوا والله كنا ساكتين.

فبعد 4 سنين عمل، خلص أانا قلت إنه ما في فايدة، يعني العمل في فلسطين، فتركت ليبيا بالرغم إنه وزير التربية والتعليم رفض، قلت له ما في فايدة، لازم أترك وأرجع لفلسطين.

هلأ انا كان عندي يعني كان عندي وجهة نظر أؤمن فيها ، إنه بتعرف كانت دايما الناس تسب على العرب، إنه العرب هيك وهيك، هلأ أنا بخطر في بالي إنه هل هذا صحيح نحن كأمة يعني بهذا الشكل (متأخرين)، يعني أسباب الهزائم من هذا الشعب، ويلا لأسباب قيادية.

فكان بدي عملية إمتحان من خلال إنتخابات بلدية، يعني أشوف إنه هذا الحكي الخطأ من الأمة ويلا الخطأ في القيادات، فقررت أنا ومجموعة ننزل، وكان في رأسين للمجموعة هاي، شب إسمه « أمين شنار « الله يرحمه مات (كان شاعر) فقال لي: أبو صالح أنا بدي أنزل على الإنتخابات، يعني المرة هاي للرئاسة، في البداية بدك رئاسة حتى تستطيع إنك تعمل، قلت له: ما في مشكلة، فأنا ما نزلت هو نزل، هو ما نجح في الرئاسة، وكعضو ما كان فاعل، فانتهت الأربع سنوات، أنا قررت أنزل.

وكان عندي وجهة نظر إنه من قرآتي في الجامعة إنه الحركة الوطنية الفلسطينية لم تكن تعبئ كل قوى الشعب، بس العائلات اللي بتشتغل في الجانب الوطني، والناس الأكثرية بتفرجوا.

فقلت يعني لازم نشتغل على أسلوب بالفعل أبني مجتمع اللي أستطيع ويستطيع المجتمع مواجهة العدو الاسرائيلي، هاي التقنية والتكنولوجيا والعسكرية القوية، إنه في شعب يواجهه، فكان عندي رؤيا كاملة حول تعبأة الناس، يعني مثلاً وقتها ما كان في الجندر « قضية المراة « ما يسترجيش حدا يحكي إنه بدنا المرأة، بس قلت إنه المرأة بتشكل 50% من هذا المجتمع، يعني مش معقول إحنا نواجه الإحتلال وال 50% معطلة، ما بصير يعني! فاشتغلت في عملية تعبأة المؤسسات النسوية على كل مستويات ...

من جانب من الجوانب اللي كانت عندي، هي العمل التطوعي، وبعدين إستطعت الحقيقة في فترة كرئيس بلدية، كنت ممثل للبلدية في شركة الكهرباء وها الشي بجيلي دخل، ففكرت نخصصها لصندوق للطلبة الفقراء الي بحققوا إنجازات ضخمة، فنفس الشي كان عندي دخل تاني من مصلحة المياه، بتعرف كل رئيس بلدية في المنطقة كان يرأس المصلحة ويوخذ مقابل، فصار عندي صندوق، وإتبعت طريقة علمية في إختيار الطلاب، إنو بالفعل يكونوا فقراء، ومش بالضرورة عفكرة يكونوا من البيرة من كل فلسطين، ويدرسوا

في الخارج فهذي صارت جزء مكمل في العمل التطوعي، هلأ بدأت الحركة، قلت أول شي بدي أعملو بدي أجيب رجال التربية والتعليم، وبالفعل عقدت إجتماع معهم، عرف الحاكم العسكري الإسرائيلي، دعاهم لإجتماع قلهم اسمعوا: أي واحد بشتغل مع رئيس البلدية هذا إما يسجن أو ينفى! فأنا قلت أوك، فإشتغلت خارج الأطر الرسمية، خارج الأطر الرسمية ... وبالفعل صارت البلدية تدعم العمل التطوعي صارت تزودها، مثلا: سيارة، ترك، أدوات كذا.

وصرت يعني أروح على سوق الخضار، أوسخ مناطق اللي تلاقي فيها فيران بالعشرات، أنظفها قدام الشباب، المجاري أنظفها قدام الطلاب، رئيس بلدية يشتتغل في أوسخ شي، حتى يتعلموا الناس إنو الشغل هذا مش عيب، وتعطيهم مثل، وتشتغل معهم متل أي واحد تاني، ما في فرق بيني وبين الطالب في الشغل، ما في رئيس بلدية (هاد خارج الحدود).

بدك تكون قائد مش بالهيمنة بتكون، بخدمة الناس ... هادا اللي بخليك قائد حقيقي، فيعني الناس صارت تيجي تعمل بالمئات. كمان جانب إحنا على فكرة فتحنا مكتبة في بلدية البيرة في نفس الوقت اللي كانت المدفعية الاسرائيلية تقصف فينا (في نفس اليوم) هلأ هاي المكتبة صارت مقر للعمل التطوعي والتثقيفي، دور تثقيفي لهاي الحركة، يشاركوا معنا أساتذة جامعات على، مفكرين، مثقفين، شباب صغار وكبار، نيجي نحدد دراسة أو نحدد موضوع صار في البلد وننقاشه.

وبعديها يصير عمل في مواضيع الأرض (ثقافة الارتباط بالأرض)، يعني كان العمل بعد ما طورنا الإنسان، إنو إحنا بدنا نخدم أرضنا وفلاحنا، ليش لأنو هاي محور الصراع مع العدو الاسرائيلي، وبالتالي يعني بدي أمكن الفلاح الفلسطيني من التنافس مع الزراعة الإسرائيلية، والإنتاج الإسرائيلي اللي كان يعني مدعوم من قبل الحكومة الاسرائيلية إلى أبعد الحدود. يعني هادا الفلاح الفلسطيني المسخم، بدك تساعدو إنو يستطيع بالفعل يوقف على رجليه، فنيجي إحنا مثلاً نقطفله زتونه، يوفر عليه مبالغ طائلة (أجور عمال).

شايف، يعني هلأ إجتمع موضوع تطوير الإنسان ثقافياً، شخصياً وإنتماء لأرضه، إحنا كبلدية مثلاً: كان يوفر علينا العمل التطوعي مئات الالاف من الدولارات (مش عمليه مجانية) مئات الالاف من الدولارات، يعني يشكل للبلدية دخل ممتاز.

إنعاش الأسرة مثلاً: هاي الجمعية اللي صارت إحدى الأدوات الإجتماعية للبلدية، أجت رئيسة الجمعية أم خليل « اللّه يرحمها تقولي: هاي مستحيل إنعاش الأسرة، الآن إنتهى العمل الخيري، هلأ في كفاح مسلح وبس، ما بدنا نشتغل عمل خيري. قلتلها يا أم خليل، بديش أكون منظر عليكي بس العمل فدائي، مثل أي عمل تاني بدو محيط يستوعبو؟، ما بيجي من الخارج، فيعني إحنا بنقدر نخدم العمل الفدائي في تقديم خدمات إله وحمايته، بس بصرش إنو نسكر مؤسسة للمرأة، فبالعكس الآن مؤسسات المجتمع بدك تمكنيها. نفس الشي العمال، يعني صار في عملية بناء مؤسسات بشكل غير عادي.

قرية بيت سيرا مثلاً، صار في محاولة لطرد بيت سيرا، جنب بتعرف عمواس ويالو وبيت نوبا، طروهم الثلاث قرى، هلأ ظلت بيت سيرا شوكة في خاصرة الإحتلال بدهم يطروهم، فجمعو أهل البلد نفسهم، وأجى إبن المختار علي الصبح بدري، فشو عملتلهم، إعملتلهم جمعية تعاونية على ثور (تربية وتسمين) فبدينا البلد كلها إلتمت حول المشروع، وكل واحد يدف يدفع عشر دنانير، وأنا عشر دنانير قرض. يعني بإمكانياتك الذاتية هي اللي بتشتغل.

نفس الشي عالجيب، الجيب بتعرف مهددة بالمصادرة، كنت رايح على عزا حولت العزا لجمعية تعاونية، قاعدين في العزا، قلتلو ليش يا أخي ما تعملو جمعيات تعاونية تشترولكم تراكتور، الأرض عندكم سهل بجنن، بدل ما يدفع الواحد منكم مبلغ كبير حراثة للأرض (سولار، وتصليح وكذا) إنت كجمعية تعاونية بتشتريه وبتشتغل فيه، قالو آه واللّه. خلصوا العزا راح جابوا كل واحد عشر دنانير وبدؤوها، رحت على واحد اسمو « بزبز « في أريحا قلتلو هيك هيك، قلي يا أبو صالح ما دام هيك ما في مشكلة، إشتريت تراكتور أحسن نوع، فاهتمت الناس وصار كل واحد يجيب 10 دنانير ويساهم ويشتري التراكتور، وخلال أربع أشهر سددوا ثمنه. هلأ الحاكم العسكري العام (الإسرائيلي) إستدعاني، قال لي انت يا عمي: ... إسمع إنتي من الساعة 8 الصبح وإنت عم بتقوم بنشاطات خارج حدود بلديتك، وهذا ممنوع وإذا مش عاجبك إما بنبعدك أو بنسجنك. بدوش هيك حركة، بدوش هيك حركة عم تنتشر وبتكبر وبتجذر نفسها على وضع إقتصادي، قلتله ولو جمعية تعاونية بتهدد أمن إسرائيل! قال لي أنا ما بناقشك، بدك توقف هذا

العمل (بس ما وقفت وإستمريت) يعني أعتقد إنه هاي بعض ملامح الأعمال التطوعية اللي عملناها.

وكنا وين مكان نروح نتطوع، بعدين إنتشرت الفكرة، يعني أجت الكاتبة سحر خليفة وعضو بلدية نابلس، على أساس نشكل حركة تطوعية في نابلس ... يعني صار في عملية إنتشار، يعني يسمعوا الناس أخبارها فتنتشر، هلأ العمل يكون لساعات طويلة ويكون الإنجاز ضخم في كل قرى منطقة رام الله من بيت دقو لعارورة ولوين مكان، نلاقي أراضي ناسها بدها مساعدة، نروح نشتغل معهم، نشتغل معهم في تنضيفها وفي جمع محصولها وفي الحصيدة. يعني فرصة للشباب اللي ما بعرفوا وما إلو علاقة بالأرض وفي المجالات الزراعية إنهم يخوضوا هاي التجربة، مش بس يفيدوا الناس وهم يتعلموا كمان، وبالإضافة لقضية إدارة العملية.

يعني الأحزاب ... في بداية الحزب الشيوعي كانت حركة برجوازية، بس تبين إنه مش حركة برجوازية، بالعكس حركة دورية، تغير وتبدل في طبيعة الناس وفي شخصيات الناس وخدمتها مش لقطاع من الناس يعني لسواد الشعب المضطهد المهمش والفقير الذي بالكاد يحصل على لقمة العيش تاعته، وهذا عزز فكرة العمل التطوعي بين الناس، صار في إنجاز هون.

بيرزيت إعتبرت العمل التطوعي جزء من المنهج التعليمي فيها، وإنه أي طالب بتخرج يجب أن يكون عنده ساعات عمل تطوعي ... بس أنا بقلك العمل التطوعي فلسفة ومنهج حياة، هلأ هذا الحكي، الشب كطفل يعني إذا ما أجا أبوه أو أمه توجه هذا الطفل، بصير إشي بيروقراطي. هذا غيب أيضا فكرة وفلسفة العمل التطوعي، يعني اللي كان مفروض، يعني كيف بدأنا العمل التطوعي، يبدأ العمل التطوعي مش بس بالشغل ال 120 ساعة، لأ أيضا بده يشتغل بالمكتبة وتصير هالمجموعة (الطلاب) يناقشوا بعضهم ويقعدوا مع بعضهم، ويصير في إحتكاك بين بعضهم البعض وقضايا الأمة وقضايا الشعب وقضايا الجامعة يناقشوها. بس الإشكالية بنظري الحزبية الضيقة هي اللي أبعدت، مش بس الإدارة، يعني الإدارة الجامعية بتصور مسؤولة عن هالوضع، كمان الأحزاب تحاول انها تكسب الناس وتأطر العمل التطوعي لصالح الحزب، ولذلك صار لكل حزب إله حركته للعمل

التطوعي الخاصة فيه وهذا غير المفهوم الفلسفي.

أنا بعتقد بإنوا المجتمع الفلسطيني بعيش مأساة وكارثة، من خلال السماح لبعض المؤسسات خاصة مؤسسات ال USAID إنها تعمل في فلسطين، أنا بإعتقادي إنها في منتهى الخطورة لإنها بتحاول إبعاد الشاب عن قضيته الأساسية (قضية الأرض وقضية الإحتلال)، يعني أصبح هاد الجيل ما بفكر بمواجهة الإحتلال!، بفكر إنوا يعيش وبس، متجاهل قضية التحرر وبناء الإستقلال الفلسطيني. هناك عملية تظليل كاملة، هاي المؤسسات الأمريكية التي بتقوم بهذا العمل عمالها بتساعد على تغريب الناس عن قضاياها الخاصة والوطنية والحقيقية والواقعية. هاي الإشكالية اللي بتصور بشكلوه إختراق مجتمع أمريكي اللي هو يقف ضدي مش معي مش صديق، ومع هذا بتلاقي مؤسسات بتقول لك هاد تبرع من ال USAID يعني عادي! دون أي خجل صارت إشي عادي.

أنا بقول إنه هذا الوضع مش بعيد أو بختلف لحد شاسع بين فترة الهزيمة في ال 67 وبين تحركنا في العمل التطوعي، يعني ممكن تكون نفس الظروف وإن كان في تجربة مرضية في هذه الفترة، اللي الناس وصلت لإحباط، لامبالاة، ويأس من قيادتها، ماكانوا متوقعين اللي بصير، فأنا بتصوري الوضع إلى حد ما متشابه مع اختلاف الزمن، طبعاً مثل ما قلت لك الإشكالية الآن إنه في تدخلات من USAID و CHF في لملة الشباب، وخاصة الإغراءات اللي بتصير، واللقاءات المشتركة والسفرات على الخارج، يعني في إغراءات، بس أيضاً في إعتقادي يعني نسبة كبيرة من هؤلاء الأطفال الي هم ل 18 سنة، اللي بالفعل ممكن يكونوا مرشحين جديين للمشاركة في العمل التطوعي، وأنا رأيي هيك فيلم ، وهيك كتابة كمان المفروض إنه تتخذ عدة أشكال اللي بالفعل الناس تقرأ وتعرف، لأنه مش معقول هذه التجربة تروح كالغبار في التاريخ.

أنا في إعتقادي الظروف إلى حد ما إختلفت، ومثل ما قلت إنه بالعكس في إمكانية للشغل، فبقول إنو المزبزط يعني انو قيادة العمل بحاجة إلى تغيير، وبالتالي هذا جانب من الجوانب الأساسية اللي بخلق الأجواء، إنت بدك قاده تنظر الناس إلها تتعلم منها وتقلدها، وتعتبرها رمز الها، مش قيادة بتزيد بتغريب الناس عن رأي قضيتها الأساسية، مع هذا وحتى يتم، أنا بإعتقادي هذا المناخ للإستمرارية، الشعوب حية

دايماً، الشعوب حية إذا وجدت الأداة، وأيضاً الأداة دائما موجوده، أنا عندي قناعة إنو في ضمير جمعي للشعب الفلسطيني، الضمير هذا لم ولن يمسه أي ضرر أو تخريب، بضل هو القوة الفاعلة في المجتمع، في أي مجتمع من الشعوب، اللي هو بالفعل بالرغم من إنه في بعض الأحيان يعني ببين إنه خامل مش نشيط، بس موجود، طبعاً موجود بس بدو ناس اللي بس تحركه.

إزا التعاون صار في إعتقادي واختيار مجموعه مخلصة وعارفة ويكون عندها استراتيجية، مفروض بالفعل انتو تتبنوا إستراتيجية شو اللي بدنا إياه من أولها، وخلي هالناس اللي إشتغلت بالعمل التطوعي تستفيدوا منهم، يعني بجوز أحكيت ساعة زمان ساعتين زمان لحد الآن، بس ما غطيت كل اللي صار، ولا كل التجارب، بس إنت بتتفتح أمامك آفاق واسعة عم تبدع بعملها.

13-16. غسّان جرار

تاريخ إجراء المقابلة: 08/09/2013

أجرى المقابلة: حسين يحيى

تفريغ وطباعة: لمى يحيى

تحرير وتنقيح: جبريل جحشان

رجل يتمتع بعناد القادرين، إذا قرر فهو مثابر ومتابع لقراره، مبادر في إيجاد الحلول، وقادر على نسج العلاقات مع الناس، ينحدر من مدينة جنين، ترعرع في الحركة الوطنية منذ صغره، حيث تعرض للإعتقال عدة مرات، ورشح للإبعاد عام 1992، كما تعرض للإقامة الجبرية أكثر من مرة وذلك أثناء عضويته لمجلس طلبة جامعة بيرزيت، خريج علم إجتماع من نفس الجامعة، وناشط طلابي ... مشهود له بالمعرفة.

يقول غسان جرار: من الصعب تحديد بداية العمل التطوعي في فلسطين، فهو له جذور عميقة في التراث والتاريخ الفلسطيني، من هنا إنبثقت في الأذهان فكرة العمل التطوعي، تبلورت لتحديث الإسم وإعطائه صبغة رسمية عرفت " بالعمل التطوعي "، تم التنبه له في منتصف السبعينات وتم تفعيل تطبيق الفكرة في المجتمع الفلسطيني، هذا له أسباب صاحبت تبلور الوضع الفلسطيني المؤسساتي تحت إلحاح الحاجة لسد النقص في الخدمات جراء سياسة الإحتلال، إضافة إلى البرامج االتي طرحتها القوى والأحزاب السياسية أو المؤسسات المنبثقة عنها، حيث برزت الحاجة لإنجازها بالحد الأدنى من التمويل. عدا عن إستهداف الارض ومصادرتها، والإستيطان عليها ما طرح مهمة الدفاع عنها وحمايتها عبر مناشط العمل التطوعي.

الظروف التي أدت لميلاد الفكرة خلقت الأدوات التي تجلت في أشكال المؤسسات مثل: جامعة بيرزيت كان متطلب التخرج لطلاب جامعة بيرزيت 120 ساعة عمل تطوعي، ومجلس الطلبة المكون من 09 لجان رئيسية أصبحت إحداها لجنة العمل التطوعي، وكانت من أهم اللجان في داخل مجلس الطلبة، حيث تتنافس عليها الكتل السياسية المتحالفة لتشكيل مجلس الطلبة، رافقها ميلاد أجسام العمل التطوعي المنبثقة عن أحزاب سياسية أو يعني إمتداداتها النقابية والجماهيرية،

أكثر طرفين نشطوا في هذه الجانب هما الجبهة الشعبية والشيوعيين، فشكلوا " اللجنة العليا للعمل التطوعي "، ونتيجة خلافات أسست الجبهة " الإتحاد العام للجان العمل التطوعي ".

ليس لدي إطلالة على تركيبة اللجنة العليا للعمل التطوعي، لكن عندي إطلالة دقيقة عن الإتحاد العام للعمل التطوعي لأنني كنت رئيسه (حوالي 3 أو 4 سنوات) كان الإتحاد العام يتكون من 52 لجنة عمل تطوعي في الضفة، مقسماً إلى لجان لوائية تفرز ممثلاً عنها للجنة التنفيذية، كنا نضع برنامج اللعمل التطوعي، عضو لجنة عمل تطوعي كان يدفع إشتراكاً بالشهر بمبلغ 2 شيكل، لتغطية نفقات المواصلات وأثمان العدة، أصدرنا جريدة كان إسمها " جذور " لنشر أخبار العمل التطوعي من كل فلسطين، جريدة جذور كانت أحد مصادر الدخل وكانت تصدر مرتين بالشهر بشكل سري. وجود شكل تنظيمي للجان ساعد في ضبطها وإستمراريتها، و وجود جريدة وحد الفكرة وخلق التواصل.

قرية عابود لم تكن فيها شبكة كهرباء، وربط تقديم الخدمة بموافقة روابط القرى، تصدت لجنة عابود للروابط وكان المجلس المحلي فقيراً ولا يملك ميزانية، رفعت لجنة عابود إقتراحها للوائية، وبعد تعيين أماكن الأعمدة وتوفير شركة كهرباء القدس لها جردنا حملة من 200 متطوع، حفرنا بالفؤوس، ونقلنا الأعمدة على أكتافنا من ساحة المدرسة في أول البلد، وزرعناها في حفرها، كان كل أهل عابود يقطفون زيتونهم عادوا في المساء وجدوا الأعمدة واقفة، حدث هذا أيضا في رنتيس.

في ذلك الوقت حماس لم تكن موجودة، كان هناك الإخوان المسلمون وكانوا يخجلون أن يقولوا أنهم إخوان مسلمين، كانوا يغطون أنفسهم بإسم الكتلة الإسلامية في الجامعات، كيف كانوا يواجهون عملنا؟، كانوا يركزون على الإختلاط (كرذيلة) لم ينجحوا في ثني الجمهور عن تقبل العمل التطوعي شكلاً ومضموناً. لم يكن لهم أجسام تطرح البديل، وكانوا داخل أسوار الجامعة يمارسون العمل التطوعي كمتطلب للجامعة، بالتالي كان موقفهم أصلاً حرج وضعيف. أما رد فعل الناس؟ الناس في القرى كانت رائعة جداً.

أنا برأي وهاد رأي الخاص، ميلاد العمل التطوعي كان في فترة المد الوطني، في الفترة التي كانت منظمة التحرير تقوى فيها، إمتد هذا لحين قدوم السلطة، لتبرز كمعوض عن هذه الأجسام التي كانت أدوات لمقارعة الإحتلال ومحاكاة هموم الناس، بالتالي تراجعت الأحزاب السياسية والبرنامج السياسي، بما فيه إنهارت منظومة القيم اللي صاحبت عملية المد. أيضا للأسف ساهمت ال NGO's بعد مرحلة السلطة وحلولها محل الأحزاب السياسية سواءً في برامجها أو تمويلها في تخريب العمل التطوعي، وإحداث التفريغ في دور الأحزاب والتفريغ في البرنامج نفسه، أصبحت NGO's محكومة بأجندة الممول وليس بإحتياجات المواطن. (البرامج المطروحة من ال NGO's ليست ذات طابع تطوعي)

النهوض بثقافة التطوع والعمل التطوعي مسؤولية كبيرة تحتاج إلى العديد من الأجسام، وإذا بقيت على كاهل مجموعة من الشباب المبادرين ستبقى ضعيفة، لكن إذا دخلت السلطة في الموضوع لن ينجح، إذا إستطعنا أن نقنع قطاع الشباب بأن هذا العمل يعود على ناس غير منتفعة، وعلى البلد كبلد بالمنفعة نكون دقينا أول مسمار في المركب لتصحيحه. يوجد اليوم قطاع شباب مثقف وطاقات كامنة و وعي، المهم كيف تخرجه، مطلوب مجموعة من الشباب المبادرين يستخدمون وسائل التواصل الإجتماعي ليصل إلى الناس.

13-17. كامل جبيل

تاريخ إجراء المقابلة: 29/05/2010

أجرى المقابلة: حسين يحيى

تفريغ وطباعة: محمد مصلح

تحرير وتنقيح: جبريل جحشان

نشأ في المخيم فأصبح صحفياً، حيث دخل باب الصحافة عبر طريق الوطن، حازم في موقفه، عركته الزنازين، وعرك حياة المخيم بكامل تفاصيلها، كامل جبيل إبن قرية النعاني، شُرِّدت أسرته ليستقر بها الحال في مخيم الأمعري حيث رأت عيناه النور، يعمل صحفياً وشغل عضوية مجلس بلدية رام الله، وله في الشأن العام وجود وحضور، رافق تجربة العمل التطوعي منذ ولادتها وكبر معها، ولا زال له دور رئيسي فيها.

يرى جبيل أن العمل التطوعي جوهره المشاركة، وأن هذه الروح المتأصلة في مجتمعنا أعاد إذكاءها بعض المثقفين، وبدأ نهج جديد ، تفكر الناس فيه رغم المعارضة التي كانت بعدة اتجاهات، خاصة في مشاركة المرأة، عدا ذلك أرتبط التطوع بالموقف الوطني، أعمالنا البسيطة بدأت تنتشر وصرنا نحس أن كثيراً من المدن صارت تقلدنا في رام الله، وفي كثير من القرى ايضاً، فرض الواقع نفسه وصار لدينا عمل منظم بهيئته المسؤولة، التي كانت تنتخب إنتخاباً ديمقراطياً، بلديتي رام الله والبيرة، ساعدتنا في هذه الفترة صار لدينا أسبوع عمل تطوعي، وهذا الأسبوع جذب أعداد كبيرة من المتطوعين من مدن مختلفة وبتنا أسبوعاً كاملاً في سرية رام الله وبعض المؤسسات الأخرى، كنا نقوم بواجبنا 8 ساعات عمل حقيقي.

بدأنا نشعر أن المزارعين صاروا يتركون أراضيهم، ويذهبون لسوق العمل الإسرائيلي أو ينزحوا من الوطن، توجهنا لمساعدة المزارع في فترة القطاف، فوجد المزارع مؤازرة حقيقية، كنا نتوجه إلى العمل التطوعي كعمال يحملون زوادتهم.

كنا نغني ونقدم سكتشات لقضايا وطنية ومجتمعية معينة تحث على الصمود والبقاء في الوطن، كان لدينا مصطفى الكرد و وليد

عبد السلام، أغانيهم كانت من نتائج من العمل التطوعي، أنا كنت ممثلاً مسرحياً في تلك الفترة في فرقة إسمها فرقة " دبابيس " للعمل المسرحي، وكان هناك فرقة " بلالين"، جوبهنا من قبل الإحتلال وأعتقلنا عدة مرات، إن كان بسبب العمل التطوعي أو العمل الفني، أغلقو (الإحتلال) فرقة دبابيس نهائياً.

دولة الإحتلال كانت تدرك أهمية وقيمة العمل التطوع في توحيد الشعب الفلسطيني في قضية واحدة، كنا عندما نأخذ قراراً لعمل ما في قرية ما، نجدها محاصرة بالحواجز فندخلها مشياً عن طريق الجبال.

بعد أن نجح توفيق زياد في بلدية الناصرة، جوبه مجابهة فظيعة جداً من الكيان الصهيوني في داخل ال 48، وحرموه من الموازنات كبلدية، مقابل هذا الكلام عرضنا تطوعنا عليه، وتوافقنا وكان مخيم الناصرة للعمل التطوعي سنوياً ودولياً، النتائج كانت مرضية في الناصرة، حققنا قيمة وطنية ومعنوية كبيرة جداً، إضافة إلى القيمة الإقتصادية. صار إبن الناصرة يحتك مع إبن الضفة الغربية. لم يقتصر ذلك على مدينة الناصرة، عرفت كل مدن فلسطين وقرى ال48 من عملنا التطوعي، من أم الفحم وغيرها.

العمل تطوعي نابع من الداخل بدون إكراه بدون إجبار، بدون ربطه بمتطلبات التخرج؛ لإن الطالب سينظر للعمل التطوعي ليس كقيمة إجتماعية وقيمة إنسانية، بل كشرط للتخرج الإلزام ينفي مفهوم التطوع، مع أن أغلبية الطلاب كانوا يشتغلون بالعمل التطوعي، قبل إقرار الإلزام الجامعي ... كان هناك إيمان بالفكرة.

بداية الإنهيار للعمل التطوعي كانت مع دخول الفئوية إليه، وربطه بالعمل السياسي بعد الخروج من لبنان، إنقسمنا إلى وجهات نظر مختلفة، إنعكس ذلك على الأرض المحتلة، الخلافات السياسية أدت إلى إنقسام العمل الكبير، إستقطابات أدت إلى هزيمة الفكرة. لم يكن لدينا مؤسسات مانحة، حدث الخلاف حين توفر الدعم، ليس هناك مؤسسة تقدم الدعم إلا وتضع أجندة تلاقي التجاوب الأوروبي أو الأمريكي، وتتلائم مع أفكارهم وسياساتهم في المنطقة، معظم اللجان للأسف الشديد، أصبحت مؤسسات (أن جي أوز) تمتلك الملايين الدولارات، كانت تعتمد على ما يقدملها المواطن، أصبحت الآن تمتلك كميات كبيرة من الأراضي، ملايين من الدولارات، أسهم في شركات متعددة

كبيرة، وفي نفس الوقت الكادر الذي كان موجوداً فيها أصبح اليوم بينتمي للشريحة فوق المتوسطة، لا أقول أنهم تركوا الوطن ولا الإنتماء للوطن، ولا خيانة الوطن، لكن أصبح إنتماؤهم للوطن بدرجات أقل، اليوم لا يوجد عمل تطوعي حقيقي. حتى بقايا المؤسسات التي أنشئت بإسم العمل التطوعي، أصبحت مؤسسات رأسمالية وإمكانياتها كبيرة جداً على أرض الواقع، ولم تعد تخدم بمفهوم العمل التطوعي.

دعوتي للناس أن يفكروا بإحياء العمل التطوعي، وإذا فكرو في هذا عليهم نسيان المقترح التمويلي، الطالب يخدم مدرسته ويخدم الشارع القريب من المدرسة، هذا عمل تطوعي وعمل وطني، ومجالات العمل التطوعي كثيرة ... شعبنا بحاجة للعمل التطوعي.

13-18. محرم البرغوثي

تاريخ إجراء المقابلة: 17/04/2010

أجرى المقابلة: حسين يحيى

تفريغ وطباعة: محمد مصلح

تحرير وتنقيح: جبريل جحشان

رجل عرفته وعركته ميادين العمل التطوعي، فلاح إبن الأرض، بسيط ولكن عميق، باحث عن الجديد مثابر، رغم كهولته لا زال شاباً همةً وعطاءاً، قادر على التفاعل مع شتى الأعمار ومختلف المستويات الفكرية والثقافية، خبرته الميدانية أعطته الكثير من المعرفة، وكونت لديه رؤية ثاقبة في العمل الشبابي.

محرم البرغوثي أو أبو شعبان كما كان يعرف سابقاً، ثم أبو النجاب، فلاّح من قرية كوبر ولد عام 1953، مناضل من مناضلي شعبنا، وكادر مخضرم في الحزب الشيوعي الذي أصبح الآن حزب الشعب الفلسطيني، قاد اللجنة العليا للعمل التطوعي في الضفة والقطاع، ثم عمل في وزارة الشباب والرياضة، وتقاعد منها وأسس إتحاد الشباب الفلسطيني الذي يديره الآن.

يرى محرم أن العمل التطوعي هو جسر بين الشخص والمجتمع: جسر للتكافل الإجتماعي وإستبدال الأنا بالنحن، العمل التطوعي ليس بحاجة لخلاف، هو تعبير عن حالة إجتماعية لمجتمع بمر في ظروف خاصة، تاريخياً كانت العونة عملاً تطوعياً لم يكن هناك مثقفين أو أشباه مثقفين يختلفون على التسمية، كان حالة ثقافية بين الناس تدفعهم للتكافل الإجتماعي، ثقافة ينبع منها سلوك وينبع منها عادات وتقاليد وقيم، وبالتالي تؤدي الى إنعكاسها على السلوك الفردي والجماعي، للدفاع عن المجموع ضد التهديدات اللي بواجهونها وتحديداً الفقر والجهل وما إلى ذلك.

كان العمل التطوعي في فلسطين تعبيراً عن مواجهة الفقر الذي كانت بتمر به المنطقة، وتحديداً ما قبل الإنتداب البريطاني أيام الحكم العثماني، وكانت الفزعة أو العونة هي الشكل الدارج للتعاون فيما بين الناس لمواجهة الفقر. وهي مرتبطة بمواسم زراعية: موسم الحصاد أو

موسم الزيتون، قبل الأربعينيات لم يكن هناك إسمنت في البلاد كان الناس يصنعون الشيد للمباني من خلال اللتون أو الكبارة، وهذا كان يحتاج لأشهر لتحضير الحطب المطلوب لتحويل الحجر لشيد وهذا يحتاج إلى فزعة. كذلك في بناء العقود كان العمل تطوعياً.

بعد الإحتلال الإسرائيلي عام 67 عمل الإحتلال على تحويل المزارعين إلى عمال في داخل إسرائيل بهدف تفريغ الأرض الفلسطينية من الفلاحين وتسهيل مصادرتها، وضرب البنية الإنتاجية الفلسطينية، بعد حرب عام 73 وقعت إسرائيل في أزمة اقتصادية مما دفعها لطرد عدد كبير من العمال العرب من ورشها، عاد العمال من العمل إلى أرضهم، هنا لاحت الفرصة لتأطير مجموعة من الشباب للعمل التطوعي.

لم يكن الأمر مفصولاً عن السياسة، كانت الحركة الوطنية الفلسطينية نشيطة في أوساط الشباب وكان معياراً وطنياً أن تقوم أنت بعمل تطوعي، كشكل من أشكال الدعاية السياسية اللي كانت بعض التنظيمات السياسية وتحديداً اليسار تستغلها لتحسين العلاقات بينهم وبين الناس. لاحقاً بدأ الاحتلال بعدد كبير من الأوامر العسكرية التي تمنع التجمعات بدون إذن، كان العمل التطوعي فرصة للشباب لكسر هذه الأوامر العسكرية، ولما إتسعت حركة العمل التطوعي حصل تغيير إجتماعي مهم: الشباب والصبايا يعملون معاً في إحترام مطلق من القرى والمخيمات. جزء من الناس هاجموا ظاهرة الإختلاط من خلال بعض الجوامع لكنه كان محدوداً. كانت لجان العمل التطوعي إذا قصدت بلدة معينة تلاقيها مجموعة كبيرة من أهل البلد ينضمون للعمل ويقدمون الضيافة، لقد إنتشرت فكرة لجان العمل التطوعي بحيث شملت كل التجمعات السكانية في الضفة وقطاع غزة.

بعد عام 1972 بدأت نويات في بعض القرى، وكانت الصحف تنشر أخباراً عنها، إنتشرت الفكرة وبدأت مجموعات من الشباب في عدد من القرى تُشكل لجان عمل تطوعي، هذا زاد في أواخر السبعينات بعد حرق جمعية الهلال الأحمر في غزة، على ضوئها تم تشكيل لجنة عمل تطوعي لإعادة ترميم الهلال الأحمر في قطاع غزة، وانطلقت في قطاع غزة لجان العمل التطوعي.

وفي سنة 1980 بادرنا لخلق آلية اتصال ما بين 30 الى 40 لجنة عمل تطوعي منتشرة في الضفة والقطاع، عقدنا إجتماعاً في جامعة بيرزيت

من مختلف مناطق الضفة وقطاع غزة شمل نقاشاً واسعاً، وخرج هذا الإجتماع بضرورة تشكيل لجنة تنسيقية ما بين كل اللجان للعمل التطوعي، أطلق عليها اللجنة العليا للعمل التطوعي في الضفة وقطاع غزة، وهي لجنة مركزية لكل اللجان، ولكن في كل منطقة كان هناك لجنة منطقة لها مندوب في اللجنة العليا وتم في 15/8/1980 إنتخاب أول لجنة عليا للعمل التطوعي وصدف أن أكون مسؤول هذه اللجنة.

ما شجع على الإنتشار هو وجود شخصيات مرموقة إنضمت للعمل التطوعي إلى جانب مجموعة من طلاب مدارس بدأو العمل في نادي الغد بجمعية الشابات المسيحية في القدس لتشكيل مجالس طلبة في المدارس، كانت عملية نضالية في داخل المدارس تحول هذا التجمع لعمل تطوعي.

وفكرة الشباب للعمل التطوعي هي التي إستقطبت المثقفين وليس العكس، كانت من مجموعة من الطلاب معظمهم من أصول فلاحية، معظمهم من الحركات السياسية في داخل المدارس أعضاء إتحاد الطلبة السري، وأول نشاط كان للعمل التطوعي في موسم الحصاد، وانطلقوا بعدها، لتحتضنهم بلديتي رام الله والبيرة. لم يكن هناك تمويل خارجي بل إعتمدنا على المجتمع المحلي في توفير المواد والأدوات.

أذكر أن إتحاد الطلبة السري الذي كان يقوده شيوعيين في السبعينات وله مجلة سرية إسمها كفاح الطلبة، كانت توزع على طلاب المدارس تحث على تشكيل مجالس الطلبة، ومن ثم إنضمت مجموعات مهمة من الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية، وكان اليسار هو الأكثر حماساً تجاه العمل التطوعي، وهذا كان مرتبطاً إلى حدٍ ما بثقافة الكوموسمول اللي هي إتحادات الشبيبة في الدول الإشتراكية، وساعد في توطين الفكرة تقليد العونة أو الفزعة كجزء من التراث الفلسطيني.

إستفادت التنظيمات من العمل التطوعي في تكوين ذراع جماهيري لها بين الشباب، وإستقطبت الالاف، أصبح هناك مصلحة سياسية مباشرة للتنظيمات السياسية في دعم الظاهرة، خصوصاً أن العمل التطوعي إرتبط بشعارأساسي هو " الارض هي الهوية " وبالتالي لعب العمل التطوعي دوراً مهماص في مواجهة الإستيطان في إحياء يوم الأرض بشكل مميز وجماهيري وضخم.

أذكـر أنـه كـان في عمل تطوعي على المنارة حيث جـاءت دوريـات الإحتلال وإعتقلت عدداً من المتطوعين. وكان لنا نشاط بمنطقة الغور في قطف البطيخ والبندورة، منطقة الغور منطقة عسكرية، كنا ندخل أريحا على فترات بين كل باص والثاني، لما إنتهى العمل تجمع الشباب في الشوارع، إنتبهت الشرطة فعتقلوا مجموعة من الشبا، إعتصمنا في بيت رئيس البلدية لحين إخراج المتطوعين، خرج المتطوعون ولكن عند عقبة جبر نصب الإحتلال حاجزاً وأعادوا إعتقالنا.

بعد حرب عام 82 فكر الإحتلال بروابط قرى كجهاز بديل لمنظمة التحرير، لعبت لجان العمل التطوعي دوراً مهم في مقاومة روابط القرى، مما أدى إلى إغتيال الشهيد داوود العطاونة وهو رئيس لجنة العمل التطوعي في بيت كاحل في 82\6\19 من روابط القرى، لأنو كان نشيط في مقاومة روابط القرى. و في منطقة رام الله إعملنا عدد كبير من المهرجانات في طيرة بيت عور في عدد كبير من القرى ضد روابط القرى.

بالنسبة للناصرة التجربة نجحت، شوف: لأول مرة الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة في بلدية الناصرة وبرئاسة توفيق زياد عام 1876 ، وبدا التمييز ضد الناصرة كأكبر مدينة فلسطينية في الداخل، فابتدعت بلدية الناصرة لمجابهة التميز والحصار اللي على البلدية بمخيم عمل تطوعي، ولما أنتخبت اللجنة العليا كان أول نشاط لها المشاركة في مخيم العمل التطوعي في الناصرة ب 1200 شاب وصبية، جاء مخيم العمل التطوعي متنفساً للشباب الفلسطيني يلتقون فيه مع الشباب الفلسطيني في الداخل، كان مخيماً دولياً فيه وفود من الخارج.

حاولنا مع بلدية رام الله إقامة مخيم وفشلنا؛ لعدم إستعدادية البلدية في ذلك الوقت، وكذلك في نابلس أيام رئيس البلدية " بسام الشكعة " وأيضا فشلنا لعدم إستعدادية قسم الهندسة في البلدية، ورغم ذلك عملت لجان العمل التطوعي في مدينة نابلس أعمالاً كثيرة.

أوج العمل التطوعي كان في الإنتفاضة الأولى لما كانت لجان العمل التطوعي منتشرة، كان الشباب منظمين في المدن، في الأحياء وفي القرى فكان من السهل جداً تشكيل الجان الشعبية، تحولت لجان العمل التطوعي للجان أحياء، ولجان حراسة القرى في الليل من هجمات الإحتلال وكان التعليم الشعبي. تراكم الخبرة خلق عند الشباب وعي

بالآليات التي يتم فيها تنسيق وتنظيم الأعمال، وعندما دخل الدعم بدأت عملية شراء الذمم. وشكل ذلك بداية إنحراف عن القناعات الحقيقية والإنتماء، لكن الطامة الكبرى كانت في إتفاق أوسلو، قامت سلطة تدعي أنها تدافع عن الشباب وعن الوطن، لم تفعل شيئا سوى فتح باب التوظيف، وتراجع العمل التطوعي لأن لا أوسلو حقق ولا السلطة حققت ولا عملية المفاوضات حققت شيئاً، عملية أوسلو خلقت صدمة كبيرة في التطوع والوعي السياسي، وخلقت حالة من الإرتهان واللامبالاة، وإنتشار الفساد والمحسوبية مما خلق إحباطاً عند الشباب.

أما المؤسسات المجتمعية الأهلية فبعضها كان يلعب دوراً مهما في تشجيع التطوع، لكنها تحولت لمؤسسات بيروقراطية بعيدة عن التطوع، وارتبطت بالمقترح التمويلي، إنسلخت عن العمل التطوعي، المحصلة النهائية هو ضعف في الأداء وعدم توجه للنقاط الأساسية للنضال، لا أستطيع إنكار الدور العظيم الذي تلعبه لجان مقاومة الجدار، ولأسباب سياسية وتطوعية هذا شكل من الروح التطوعية ما يجب أن نعمقها ونطورها وصولا لقانون خدمة وطنية، هذا يحتاج إلى وقت وقناعة من متخذي القرار.

هناك تقصير من التنظيمات السياسية الفلسطينية تجاه العمل التطوعي والهوية الوطنية الفلسطينية، لأنها الأكثر قدرة على الوصول للشباب، العمل التطوعي مدرسة سياسية وثقافية وإجتماعية، مدرسة تعلم وتتعلم من الشبابن، هو آلية للتجاوب على فترة محددة وأهداف محددة، آمل أن يكون في إعادة نظر في كل القضايا. الإحتلال ضد العمل التطوعي لأنه رد ثقافي وإجتماعي عليه، ويعكس تلاحم الإنسان الفلسطيني بأرضه، يجب أن يكون أكثر فعالية رغم أن هناك ضغوطاً سياسية وإجتماعية وتنموية قاسية على الشباب من بطالة وفقر وغيره، لكن لا بد من تنشئة إيجابية وتعاون مع الشباب دون نظرة فوقية.

13-19.محمد وائل إسليم

تاريخ إجراء المقابلة: 17/04/2010

أجرى المقابلة: محمد مصلح

تفريغ وطباعة: صابرين نصار

تحرير وتنقيح: جبريل جحشان

محام قديم، يافاوي الأصل، عاش طفولته في نابلس ثم في البيرة، تعرض للإعتقال منذ بداية الإحتلال، وتعرض بيته ومكتبه للمداهمة أكثر من مرة، يعمل الآن محامياً.

يرى محمد العمل التطوعي أن يقوم الإنسان بدور فعّال دون أن ينتظر لقاءً مادياً فورياً، وأن العمل الوطني والإنتساب للعمل الوطني، تحديداً المقاومة هو بحد ذاتة عمل تطوعي، فالإنسان يقدم حياتة في سبيل موقف سام الا وهو الحرية والدفاع عن قضية إنسانية سامية، إنه مفهوم واسع ولا يستطيع الإنسان حصره في بضع كلمات.

هناك أعمال تطوعية ومشاريع كثيرة أقيمت منذ قدوم الإحتلال، حيث قمنا بأعمال تطوعية عديدة وذلك كان تحت إشراف ونشاط جامعة بيرزيت، حيث كان هناك بعض المدرسين المهتمين في العمل التطوعي وقاموا بنشر هذ الثقافة في أوساط الطلاب، ومن ثم إنتشرت إلى خارج إطار الجامعة، وحققت بالفعل كثيراً من القرى والمدن نفعاً عاماً من هذه الأعمال والمشاريع التي تم تنفيذها.

كان هناك إحتضان لهذه الظاهرة، وهي أنبل ظاهرة نشأت بعد نشوء المقاومة في عام 1967، حيث إستطعنا من خلالها تقديم إسهامات عديدة من مدن وقرى، في فلسطين إستطعنا أن ننجز هذه المشاريع لتحقيق النفع العام، طبعا تقدمنا في تفكيرنا وإستطعنا أن نصل إلى ناصية الطريق المفتوح بلا حدود، حيث أننا نستطيع الآن أن نقوم بممارسة مشاريع عديدة على أرض الواقع تصل إلى المرفق الصحي، وكذلك للزراعة والبيئة وأخرى تربوية.

أصبحنا نعتقد أن الإنتماء الوطني لكل فرد من أفراد مجتمعنا يجب أن يتوج بساعات عمل تطوعي تقدم من كل إنسان إهتم فينا لأي جانب من

الجوانب، في هذ الحياة التي يعيشها شعبنا في ظل الإحتلال وبشاعة ممارساتة، أعتقد أن العمل التطوعي يجب أن يكون خدمة إلزامية في ظل غياب الخدمة الوطنية، أضعف الإيمان مدة ستة أشهر من حياتهم لخدمة مجتمعنا سواءً في المرفق الصحي أو التربوي، التعليمي أو الزراعي ... الخ من مرافق يحتاج فيها مجتمعنا لتغطية هذة الجوانب، هذا يحتاج إلى تشريع لخدمة العلم من خلال العمل التطوعي.

أول ما حصل الإحتلال في العام 1967 كنت طالباً في الثانوية، وانتميت لفصيل من فصائل الثورة لمقاومة الإحتلال، وهذا كان أول عمل تطوعي أقوم به، وبعد ذلك طبعاً تثقفنا في الجامعة ومحيط الجامعة وشعرنا بأهمية العمل التطوعي، فعندما عدت إلى الوطن إلتحقت بمجموعات العمل التطوعي بفلسطين، وأعمالنا وصلت حتى الناصرة، بعد أكثر من دعوة كانت من بلدية البيرة وبلدية رام الله للقيام بأعمال تطوعية، وهناك العديد من القرى أعمالنا التطوعية فيها تشهد على أننا قمنا بشق الطرق وبقطف الزيتون وبغرس الأعمدة الكهربائية ... الخ من نشاطات أدت إلى النفع العام لتلك القرى، فسلطات الإحتلال لم تكن تساعد على إنجاز الكثير من المهام، كانت قوى الإحتلال تحاول أن تعرقل ذلك وتمنعنا من ذلك .

أول من بادر للعمل التطوعي كان هم قطاع واسع من الطلاب الجامعي، وقطاع واسع من العمال كونهم كانو يتلقوا الثقافة السياسية، وتنظيماتهم كانت تدفع بهذا الإتجاه، بالإضافة للفلاحين في القرى، ثم عمّت التجربة كافة القطاعات. من أنبل الظواهر التي نشأت بعد ظاهرة المقاومة هي ظاهرة العمل التطوعي، حيث يقوم العديد من الشباب الواعي بتلبية خدمات للمجتمع.

منظمة التحرير الفلسطينية كانت هي الحاضن الحقيقي لنشاطات العمل التطوعي، فيعني من ينتمي للجبهة الشعبية أو الديمقراطية أو لفتح كان يتم توجيهه للعمل، لكن للأسف بعد ذلك بهت العمل.

ما يمر به الوطن سياسياً قد يكون أحد المعوقات لوجود العمل التطوعي، لكن رغم ذلك يوجد تنفيذ لمشاريع عمل تطوعي، مشكلة أخرى أنه أصبح هناك ثقافة سائدة وقد تكون المنظمات الأهلية مسؤولة عن ذلك، وهي أن أي عمل يُقدم يجب أن يكون ل مقابل مادي، هذا يتنافى مع منطق العمل التطوعي. هذه الثقافة تحتاج لمن يؤمن بها

ومن ثم يعمل على نشرها ، ونحن مؤمنين بذلك وهناك العديد من أساتذة الجامعات والمؤسسات والنقابات على إختلاف أنواعها ، أعضاء يؤمنون بما نؤمن ويعملون بنفس المنهجية وبنفس التوجه.

لا زالت المرأة موجودة في حركة المقاومة منذ بدايتها وهي أيضاً موجودة في هذة الظاهرة النبيلة ، أواسط السبعينيات كان يشاركنا العديد من النساء منهن مثلاً: سهام وسهى البرغوثي وأخريات لا أذكر اسمائهن، ساهمن معنا في ذلك ، إضافة إلى أن هناك أطباء ومهندسين وأساتذة ، واذكر منهم الأستاذ زياد الترتير من سكان مدينة البيرة حيث كان يتوجة للعمل التطوعي هو وأولاده وبناته ، كان لدينا كثير من الأشخاص الذين يؤمنون بالعمل التطوعي ، ويتقدمون هم وزوجاتهم وأولادهم للمشاركة في العمل التطوعي .

رافق العمل التطوعي الثورة في مرحلة صعودها ، لفترة من الفترات كان هناك تراجع نتيجة الضربات العديدة المتتالية للوجود والتواجد الفلسطيني اينما تواجدنا ، سواءً كان في ساحة لبنان أاو في تونس أو في المناطق العربية الأخرى ، هذا كان ينعكس علينا بشكل سلبي ، إضافة لهجمة الإحتلال بإستمرار على أي موقع كان يكون فيه عمل تطوعي ، لكن رغم ذلك كنا نحاول أن نتغلب عليها ونتجاوزها.

الآن نحن بأمس الحاجة لرجوع الحاضنة السابقة أن تحتضن من جديد العمل التطوعي ، وأقصد في ذلك منظمة التحرير الفلسطينية أينما تواجدت في الساحات الخارجية وفي ساحات فلسطين ، نحتاج أن تقف السلطة الفلسطينية من هذه الظاهرة موقفاً داعماً لها عن طريق التشريع والتنفيذ ، نحن بأمس الحاجة لتشريعات وأيضا بحاجة لدعم مادي من الموازنة العامة للعمل التطوعي ، قبل قيام السلطة كنا نعتمد على مساهمات المؤسسات المحلية واليوم لابد أن تقوم السلطة بدور ما.

المسألة تحتاج إلى نشر ثقافة ، لكن الدور الأساس يجب أن يكون من قبل السلطة ، حيث يجب أن تفرض على كل طالب من مستوى إعدادي فما فوق بأن يقوموا بأعمال تطوعية معينة ، وأعتقد أنه إذا تم سن قوانين وقامت السلطة بالدعم المادي لتلك الجمعيات التي تهتم بالعمل التطوعي ولا تتلقى أي معونة أو أي دعم مادي. ونأمل من الإعلام وخاصة المحطات التلفزيونية أن تقوم بنشر الأخبار والتقارير عن الأعمال التطوعية التي تجري.

13-20. زارع البذرة الأولى ... منير فاشه

تاريخ إجراء المقابلة: 10/04/2010

أجرى المقابلة: محمود مصلح

تفريغ وطباعة: صابرين نصّار

تحرير وتنقيح: جبريل جحشان

عالم الرياضيات المسكون دائما بغير المألوف والباحث عن أفكار وعلاقات جديدة، ينقل قوة الإبداع في المنطق الرياضي إلى المجتمع، يحاول ألا يفكر داخل صندوق معد له مسبقاً، لا يخرج من الصندوق دون أن يصاب بجرح هنا أو هناك، ولكنه يرى أن في الفكرة ما يستحق أن تعاني لأجلها، مسكون بالتعليم وهواجسه، ومسكون بالتغيير الذي يمكن أن يحدثه التعليم إذا ما تحرر من قوالبه الجامدة، لذلك فهو رائد بما تعنيه الريادة المجتمعية من معنى.

هو منير جميل فاشة، من مواليد القدس 1941، كان له في القدس بيت، لكن النكبة طردته طفلاً ومنه لجأ إلى أريحا لمدة شهرين أو ثلاثة، ثم إنتقل إلى رام الله ليعيش فيها. عمل معظم حياته في التعليم في جامعة بيرزيت، وقرر أن يترك بيرزيت عام 89، ليؤسس مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، ثم غادرها عام 97 إلى أمريكا كأستاذ زائر في جامعة هارفرد في مركز دراسات الشرق الأوسط، وعمل هناك عشر سنوات. في عام 2007 عاد إلى الوطن بعد أن إكتشف أن لا وجود لمجتمع في أمريكا. ويعمل حالياً في المركز النسوي مع المعلمات والأمهات والأطفال في مخيم شعفاط.

يقول منير فاشه: أن أكتر شي غير حياتي كانت حرب 67 كنت أعلم وقتها في جامعة بيرزيت، لم يتوقع أحد فينا ما حصل سنة 67، ولأول مرة تسآئلت ماهو دور التعليم؟ هل في تعميتنا عمّا يحصل حولنا أم لفهم ما يجري، بدأت بلورة شئ عام 71 تكوين ناد في جمعية الشابات المسيحية في القدس إسمه نادي الغد، كنا حوالي 12 - 15 شخصاً من عدة خلفيات، كنا نجتمع بإستمرار لكنا وجدنا أن إجتماعاتنا دون عمل فعلي، فاقترح بعضنا تجاوز هذا الوضع بعمل ميداني ما، توجهنا إلى بلدية رام الله، وكان كريم خلف رئيسها، وبلدية البيرة

وكان عبد الجواد صالح رئيسها وطرحنا عليهم رغبتنا بالقيام بعمل ما أيام الجمعة والأحد يفيد المدينتين، أول عمل كان في مكتبتي رام الله العامة والبيرة العامة، لمساعدة طلبة التوجيهي، وبعد أن إنتهت إمتحانات التوجيهي بدأنا نشتغل في البلد من تنظيف سوق الخضار في البيرة وكان معنا عبد الجواد صالح.

على إثرها بدأ بعض الطلبة والشباب يقدمون من القرى والمخيمات، وصرنا نجتمع في مكتبة رام الله وفي مكتبة البيرة، أسبوع في مكتبة رام الله وأسبوع في مكتبة البيرة، لم يكن هناك أي مأسسة أو ميزانية، وكان أي شاب أو شابة يقترح عملاً في مكان ما كنا نبادر إليه. إذا المكان قريب نذهب مشياً، وإذا كان بعيداً، كنا نأخذ الباص. هذا الأمر كان في نهاية عام 1971.

بعدها بدأت المدارس تهتم بالعمل التطوعي، من رام الله إلى باقي الضفة الغربية، هنا إنتبه الإحتلال خاصة عام 1973، وحاول منعنا من بعض الأعمال، في الحقيقة خفت من ذلك، لكن فكرة أخرى قفزت، وهي لماذا لا ندخل العمل التطوعي إلى جامعة بيرزيت؟، قدمت ورقة للدكتور حنا ناصر وكان رئيس الجامعة قبل أن يُبعد، إقترحت فيها إشتراط عدد من الساعات كمتطلب للتخرج، وافق رئيس الجامعة وأصبح العمل التطوعي حتى الآن شرطاً للتخرج، ولسوء الحظ بات الطلبة ينظرون إليه الآن كمتطلب عادي، لابد من الخلاص منه بأي شكل، أعتقد أول خطوة لإنقاذ العمل التطوعي في الجامعات هو إلغاء هذا الشرط.

ولإن الفكرة بالنسبة لنا تجربة جديدة، كنت ضد أن يكون هناك إطار مؤسسي، كنا ننادي بعضنا بأسمائنا الأولى كسراً للحواجز، هذا جعلنا نندمج مع أهل القرى والمخيمات وبما يشمل الجميع مسيسين وغير مسيسين. أحد الطلبة كان « أحمد سعدات » الذي يشغل الآن الأمين العام للجبهة الشعبية كان يحضر الاجتماعات وكان شريكاً دائماً في العمل وفي الفكر، فمرة جاء الي قائلاً: عرفت إنتمائك، قلت له ماذا؟ قال أنت « روماركسي »، لأننا كنا نتكلم بشكل رومانسي عن فلسطين وعن العمل وعن الإنسان. قلت له: أنا أقبلها منك لأن جزءً كبيراً من الصحة فيها. بالآخر عرفوا إنوا ماعندي أي إنتماء إلا لفلسطين فقط. بقي هذا حتى عام 81، حيث شُكلت اللجنة العليا للعمل التطوعي فأصبحت شبه مؤسسة وصار بها إنتخابات، لم أكن وقتها في البلاد، كنت أدرس للدكتوراه من 81 - 86.

كنا محظوظين في فترة السبعينات، كان العقد الأكثر إلهاما بالنسبة لي ولعدد كبير من الناس ممن أعرفهم، كان الإحتلال جديداً ولكن شرساً. لكني لا أذكر أن أي فلسطيني في تلك الفترة عاش بدون أمل، كان الأمل قوياً جداً، وكانت الحيوية والحياة قوية جداً لدرجة من الصعب على الشباب الصغار إنهم يصدقوا اليوم أن الناس كانت لبعض، لا أذكر أننا اشتغلنا لمصلحة خاصة، أبداً. إشتغلنا متلاً على كتب مقروئة للمكفوفين، طبعاً تعاونا فيها مع مؤسسة الفائدة فيها للمكفوفين والمكفوفات وليس للمؤسسة بشكل خاص. إشتغلنا مع البلديات، مع مدارس، لكن كل الأعمال اللي عملناها كان مردودها عام.

في تلك الفترة كنت عندما نمر في تجربة معينة وجميلة في العمل التطوعي، أكتب عنها في أكتر من جريدة، كنت أكتب عن ملاقاة الناس لنا في رمون و كفر نعمة، مُركِزاً على أن العمل التطوعي ليس فكرة غريبة عنا، مستعيداً مفهوم « العونة «.

كانت العونة معنى جميلاً جداً، أجمل من كلمة التطوع، ولهذا سميناه التعاوني في بيرزيت، وعندما نذهب إلى مكان كانوا يقدمون لنا شاياً وأحيانا يغدونا مع إنو شرطنا الدائم كان إذا كان لا بد من طعام فليكن زيتاً وزعتر وزيتون وبندورة.

من البداية كان تركيزنا إنوا العمل شي نابع من الذات لا يحتاج وسيط أو موافقة، وأي إنسان صغير كبير، ذكر أنثى، من القرية من المخيم من المدينة مرحب به، لا شرط غير رغبة الإنسان في العمل، لهذا السبب كان هناك شباب وكان صبايا أو نساء، ولما كنا نذهب إلى القرى والمخيمات في أعمال كان هناك من القرية أو المخيم نساء يساعدن.

أكبر خطر على العمل التطوعي أو التعاوني، هو نمط الإستهلاك في العيش وليس الإحتلال، نمط الإستهلاك في العيش هو الجرثومة التي تحطم وتدمر الإنسان تدمر المجتمع والعلاقات بين الناس، تدمر الطبيعة.

أُعطي مثلاً بسيطاً: نحن نعيش في أسوأ ما حصل سنة 93 وهوا تبنينا أكثر وأكثر لنمط الإستهلاك في العيش، كل شي أصبح سلعة وله سعر، في السبعينات لم تكن الأشياء تقدر بالمال أو الشهادة ... الخ.

كيف يمكن أن ننتزع أو ننزع أنفسنا من نمط الإستهلاك هو التحدي الأكبر وبدونه الإنهيار قادم، من أدخل النمط الإستهلاكي في العيش بشكل رئيسي هو البنك الدولي، الذي لم يترك دولة دخلها إلا وتغيرت فيها العلاقات وتغيرت المفاهيم، وعندما نقول أن كل شي له سعر معناه بطبيعة الحال أن العمل التطوعي يصبح له سعراً، رأيي أن الإحتلال قبل بأوسلو حتى يحول المجتمع الفلسطيني إلى مجتمع إستهلاكي، رام الله الآن لا تختلف عن (...) هي مدينة تعيش ضمن نمط الإستهلاك إلى درجة التقزز.

فترة السبعينيات كانت فترة فيها حيوية وأمل وعافية ونشاط، الإختلاف في السبعينات أنه لا أحد كان يسأل ماهي حقوقي، لأننا كلنا نعرف أن حقوقنا مسلوبة، كان يسأل السؤال الأهم: ماذا أستطيع أن أفعل ضمن الظروف الموجودة؟. لهذا السبب كان هناك نشاط هائل جداً على كل المستويات كان هناك جدل نسيج يومي بين الناس بطريقة مذهلة، فمن هاي الناحية كان العمل التطوعي وقتها أُغني دون أن نقدم " بربوزلز " دون أن نطلب موافقة، كان التطوع متوافقاً مع التيار العام. فكرة أن تقدم شيئاً حالياً لأنه بعطيك نوعاً من السعادة ومن العلاقة مع الناس، يعني: أن تمشي ضد التيار ضد التيار الإستهلاكي، فالعمل التطوعي صار تحدياً للجيل، أعطيك مثلاً بسيطاً: في السبعينيات لم يكن هناك تخريب للأرض؛ لأن الناس كانوا يعيشون على ما تنتجه التربة، الآن تذهب إلى سوق الخضار، تجد 90% مما هو موجود ليس من إنتاج قروي فلسطيني من الأرض الفلسطينية، وحتى إذا كان من إنتاج الأرض الفلسطينية يكون مهجناً بكيماويات وهرمونات وكل ما هب ودب من سموم بطيئة وسريعة.

بدأ العمل التطوعي أو المخيمات الصيفية التطوعية في الناصرة عام 1976، أما في الضفة فبدأ عام 1971، كان عدد من الشباب يشارك لأن الحركة كانت أسهل، الفرق هو أن الترتيب في الناصرة كان مرتبطاً بالبلدية، نحن في الضفة الغربية بقي التطوع دون وصاية حتى 1981، في رأيي أن هذه قضية هامة لحماية الشباب الذين يريدون العمل دون وصاية.

كلمة تنمية تعني شيئاً ينمو دون توقف، ومعناه أن يكون سرطاناً، التنمية المستديمة أو المستدامة هي أنك تحترم الخليقة، بمعنى: أن

بذرة الخيار التي لها 4000 سنة في فلسطين تولد نفسها دون أن تنمو هي جزء من الخليقة، حالياً نفقدها ونأتي ببذور نشتريها كل سنة. التنمية المستدامة هي نوع من خداع العقل، نوع من اللامنطق، نوع من إحتقار الطبيعة، نوع من إحتقار الخليقة وشيء مُخرب، فلما أقول أنني ضد مفهوم التنمية المستدامة، لا يعني أنني ضد ما يجعل الطبيعة قادرة على توليد ذاتها، الشيء الوحيد المستديم هو الحياة وحمايتها من التخريب، لأن الحياة قادرة على الإستدامة، الخليقة قادرة على الإستدامة، مؤسسات كثيرة تأتي بشباب متطوعين يعملون معهم وبآخر الصيف يعطوهم 300 دولار 500 دولار هل هذا تطوع؟!، صار هذا مسيطراً على إدراك الشباب. القيم المطلوبة حالياً تختلف عن السبعينيات، حالياً يجب حماية المجتمع وحماية الأرض.

بالنسبة لصياغة خطة إستراتيجية ... يجب التركيز على العلم، وعلى العقل والفكر، العمل الجيد الذي لا يضر: الإحترام في الجدل، الإحترام في النقاش، يمكن أن أكون متطرفاً في هذه الناحية لكنها قناعتي، لا يجب أن نرى الأشياء السلبية فقط، يجب البحث عن الإيجابي والتفتيش عن مصادر القوة في المجتمع.

12- الخاتمة

ما يشد في هذا الكتاب أن جزء من تاريخنا وكفاحنا الوطني يُكتب عبر المشاركين أنفسهم في مأثرة شعبية فلسطينية كانت تَنبُت وسط نيران الإحتلال وتقبى خضراء، إلى أن أطفأت قنديلها ويبست خضرتها حالة الإنهيار السياسي، التي إذا ما إستمرت على هذا الحال فإنها ستفقدنا الأمل بما هو آت. في تلك المقابلات التي إطلعنا عليها هناك فخر وتأييد لفكرة التطوع، هناك حرص على جماعية العمل لا فئويته، هناك إستعداد لِكَرّة أخرى من التجربة، وهناك لدى كل من أدلوا بشهادتهم للتاريخ غصة في الشعور على ما آل اليه وضعنا، ودعوة للتسلح بالأمل ومراهنة على الجيل الجديد.

هناك لعنة يصبها أكثر من شاهد على ما خلقته الليبرالية الجديدة والعولمة الرأسمالية من أنانية، وتحول المجتمع إلى بالوعة إستهلاك دون تمحيص فيما يستهلكون مادياً وثقافياً، هناك حسرة على ما آل إليه المجتمع من تخلف قيمي وفكري وإجتماعي تخلى فيه عن مكتسبات حققها بجهده وكأنه يلعن تاريخه.

هناك أسئلة كبرى تطرح عن دور التمويل الخارجي في نَحْرِ ظاهرة التطوع، وعن دور الحكومة في التخلي عن مهماتها الإجتماعية، وهناك دعوات ومقترحات تشير إلى أن زيتاً ما زال في قناديل الكهول يمكن أن يضيء الطريق للشباب.

نسي البعض أن إنتفاضة شعبنا الأولى كانت الدرس الأول الذي تلقاه الشباب العربي في حراكه، هذا الشباب الذي قلب الموازين لكنه سلم رايته لمن هم أبعد ما يكون عن الأهداف التي خرجوا من أجلها، هذه النقمة على الأحزاب غير مبررة سواء من القدامى أو من الجيل الجديد، ما أصاب الأحزاب من ترهل هو إنعكاس للواقع الذي أراده الأقوياء في أن تموت الأحزاب لصالح الفوضى التي هي ليست دائماً خلاقة، لسنا من مقدسي الأحزاب، ولكن بدون الأحزاب لا وعي حقيقي يضخ في الشباب،

وحتى تستطيع الأحزاب مغادرة التراجع يجب أن تجري جراحات عديدة في بنيتها، وأن تفسح للشباب مكاناً في قيادتها، مع فتح المبادرة واسعة أمامه.

هذه شهادات حبرها العرق والصبر والاعتقال، وورقها هو الميادين التي تحركت أقدامهم وإرادتهم يوماً عليها، إنهم يدقون أجراساً للأجيال القادمة، ووظيفة الجيل الجديد أن يصغي إلى رنينها جيداً، وأن يفكر بما هو آت لا بما قد مضى.

Palestinian Voluntary Work
A Memory of A Homeland That Won't Be Forgotten

ROSA LUXEMBURG STIFTUNG
REGIONAL OFFICE PALESTINE

Palestinian Voluntary Work Committee
Occupied Palestine - Ramallah
P.O.Box: 841 Ramallah - Palestine
Jawwal: 00972 (0) 598 91 40 31
Fax: 00972 (0) 2 298 01 36
Web site: www.pal-pvwc.net

Initiative to Document the Experience of Voluntary Work in Palestine during the Seventies and the Eighties of the Last Century

Palestinian Voluntary Work … A Memory of A Homeland That Won't Be Forgotten

Produced by: Palestinian Voluntary Work Committee

Funded by: Rosa Luxemburg Foundation

Preparation & Drafting: Hussein Yahya, Jibreel Jahshan

Proofreading: Mohammed H. Yahya

Translation: Sabrein Nassar

The content of the book does not necessarily reflect the opinion of the Rosa Luxemburg Foundation, and not necessarily do the opinions and views expressed in the oral interviews reflect the ideas and views of the Palestinian Voluntary Work Committee

Dedication

We dedicate this modest work to every honest citizen faithful to his cause and willing to have Palestine free and blessed with peace prosperity and social justice We dedicate this modest achievement to the symbols and leaders of the Palestinian voluntary work who have sacrificed for the sake of our people and our cause, we dedicate this remarkable experience to every free and noble human being who cares about these noble patriot honorably values.

Appreciation

In this regard we are pleased to express our deep gratitude to Rosa Luxemburg Foundation to their tribute to print this book which holds a very strong vision of its importance and value to support the case of voluntary work in Palestine.

And our appreciation and thanks to Human Rights and Democracy Media Center (SHAMS) for their cooperation and support in filming the interviews with Palestinian voluntary work symbols and leaders who enriched us with their experience to be documented in this book.

We also want to commend the role of Dr. Hani Salim for his advising and guiding which contributed in enrichment the book content.

In front of this great effort and those with determination that does not relent , in front of all of this we can only send our sincere thanks and gratitude to everyone who contributed in this book , Palestinian Voluntary Work Committee volunteers & members: Diaa Zaben, Haneen Yahya, Haytham Shalabi, Imad Al-Qadi, Lama Yahya, Muhammad Musleh, Mahmoud Musleh, Rami Abu Kwaider, Rana Bakeer, Riyad Qalalweh, Sabrein Nassar, Zeina Abu Ghosh for their tireless efforts they have made in conducting oral interviews, transcribing and auditing them, and their deep eagerness and strong determination to promote and improve the work of Palestinian Voluntary Work Committee in occupied Palestine.

Prolegomena

Over the ages, Palestine was characterized specifically by the life that lived through out, given that the colonial scramble forces of evil and greed which has made the land of Kana'an their quest in order to satisfy their occupation desires, the competition between colonial forces began and followed by series of wars to seize the cradle of civilizations, accompanied by crises and disasters and rolled on after another on the Palestinian people, whom refused to give up and determined to live as human community with its special identity.

Successive calamity years passed over the Palestinian people, that required them to maintain their survival, existence on their land, in order to achieve this all the component of this society made their duties toward their land and society motivated by their instincts to revive the values of human and social solidarity, voluntary work became spontaneous, which took the form of support in various social events, like planting and harvesting, one of the main pillars of social transaction, and has become with time an integral part of the customs and traditions which formed a system of civilization and cultural heritage of Palestinian people.

With the continuation of the colonial movements in the race to the occupation of Palestine land and people, through the ottoman occupation leading to the British, which resulted in the Zionist occupation who is still hovering over our chest like a rock, with the continuation of the occupation presence was incumbent on the Palestinian people (individual and groups) to develop form of resistance in order to enable them to survive; and so voluntary work was the best way to increase awareness of the need to monitor and meet the various needs of the life of civil society, voluntary work has proven that it is an important tool to raise the awareness of youth about the most important causes that affect their life and land and future, the student patriotism ideology has increased and upgraded their perception to voluntary work considered as a form of resistance and response to Israeli occupation attacks.

The student movement raised the idea of national voluntary work from the stage of evolution to the advancement, deepened the idea and embodied in its best national image through the work to protect the Palestinian land from confiscation and enhance the steadfastness of its people against the repeated Israeli aggression.

Due to the intention of Israeli occupation to inflict maximum sanctions against the Palestinian people and strangle them in the various fields of life, the national movement felt the imminent danger that will affect the masses, and so studied

the needs and became aware of the need to add specialized national action and widen the scope of it, committees were formed specialized in various fields of education, health, environment and agriculture; the public education committees have emerged, medical and agricultural committees as well, union associations and human rights organizations, which was a whole interface for clandestine action of Palestinian organization.

" this is brooms not guns , why the fear, occupation ?! " lyrics of a popular song was sung frequently after the popular poet Rajeh Salfiti during the suppression of Israeli occupation of the masses of volunteers who were responding to the nation and humanity call, occupation got mad at that time when they saw the army of volunteers with so much organization and merger, they deliberately intended to suppress any demonstration using excessive force and increased their ugliness and brutality when realized that the Palestinian people began to develop forms of struggle through following a comprehensive life approach, one of its basic pillars is voluntary work, that has been invested to fill the deficiencies and service negligence intended by the occupation management towards Palestinian people.

And now with political and socio-economic changes that have occurred and subsequent fruitless transformation at the level of thought and reality, the observer will notice the limited contribution of youth on particularly in voluntary work ,due to many factors including misconception among the majority that the Palestinian national authority is only to beat responsibility of compliance to meet the different needs of Palestinian society, in addition to lack in public confidence in the policy of the work of Palestinian factions that was until lately plays a major role in the formation of volunteer committees, and disappearance of the role of community institutions in the development of comprehensive national strategic plan for how to promote the culture of voluntary work and re-consideration of the values it finds and consolidate among human societies.

On the other hand descending in the values of cooperation and solidarity witnessed in the moral system of the Palestinian community in the society, with ascending in the individualism that the global capitalism system has endeavored to consolidate among human societies.

Away from classical idealism, the march of voluntary work in Palestine witnessing decline on the moral and ethical level, faced with this reality, our duty requires us to protect this legacy of human civilization, and maintain this national culture from extinction through documenting the experience in this book which is titled " Palestinian voluntary work, a memory of homeland that won't be forgotten " to be a source and

a reference for researchers investigating in this specialized field, the content of this book is from life experiments to be an inspiring guiding light through success stories, recalling the originality of the pioneers and leaders of voluntary work who have had the greatest impact in preserving the national memory and guarding it.

We emphasize that the majority of these pioneers sacrificed so much and endured more, some of them were exiled outside of Palestine for many years and tasted various forms of oppression, some of them were detained in Zionist occupation prisons in interrogation rooms and brutal torture cells and spent there more time than they had spent outside, others were subjected to the worst forms of torture, oppression and persecution of settlers herds of brutal occupation … In all cases, all of them have endured hardship and pain during implementing various needs of human and land during that period … All this steadfastness was fueled by the sense of responsibility toward our land and our people, to achieve freedom and peace which we are eager for them all … All those sacrifice require us to bear our responsibilities in safeguarding the national voluntary work march initiated by those great leaders, and commitment to their national path, which they drew and paved it for us.

You … who you volunteered your valuable time to document your experience, you have our sincere respect and appreciation for all what you have made and given for the sake of preserving the national identity of the Palestinian memory alive and pure.

As for you, the pioneers and leaders of Palestinian voluntary work, whom we weren't able to document your experience in this edition, we hope god extend in your life to document your honest experience and learn from it and gain your noble values and quote from your principle Perhaps we could offer a national achievement to our sacred cause.

Finally, before sailing in this distinctive experience, to quote from Palestinian poet " Mahmoud Darwish ": on this earth what makes life worth living … And we also emphasized that this holy land deserves from us to be united to cleanse our soil from desecrated occupation, this land preserved legendary heroic epics worth from us to do what is the most precious for it …This soil scented by the blood of the martyrs and sacrifices of prisoners deserves all our sacrifice in order to achieve the lofty goal of our existence on this land which merged with glory and dignity.

Hussein Mohammed Yahya

Palestinian Voluntary Work Committee

Introduction

So voluntary work in Palestine has its roots which came from involving people in the action of farmers production in the small villages that connected not only through geographical bonds but also through relations that has a non- civic this work took the shape of civilized theme specially with the development of socio-economic realities in Palestine, and became one of the important factors of survival and steadfastness of the Palestinian people against the project aimed to uproot their existence on this land, volunteering in Palestine have not established through a planned work but it came spontaneously in line with the social needs of the people, consequently, this work was genuine and natural and social product stem by people. And for this it deserved to be studied to take advantages from this popular Palestinian experience in the face of the deep existential current challenge, which is continuation of the previous challenges due to the continuation of the Zionist project not only for Palestinian but for all Arabs.

In this book we are going to process an oral history for voluntary work in Palestine in its early stages and after the Israeli occupation of the West Bank and Gaza Strip, and this considered as a contribution to study this national tradition, but it does not replace the need for extensive anthropological study on the mechanisms and forms of voluntary work in Palestine since the end of Ottoman rule and until the occurrence of major catastrophe " Al Nakbah ".

The basic material of this book is a testimony of the pioneers and leaders of voluntary work which represent a mass popular widespread action, did not stem from bureaucratic institutions which has its own frames, it came from the will of initiators to establish an experience with its different organizational forms that developed the center of its activities to be resistance against Israeli occupation policies, and building a national state of mass that support the independent entity of Palestinian people.

These testimonies forms a primary source about the Palestinian voluntary work, which is very important and necessary part of the process of keeping the history of popular activity that is usually set aside by those whom sees the process is limited about the role of elites in making history.

Here we provide historical material made by the hands of mass group, whom they did not seek glory or get a financial benefits, they were moved by their national consciousness to move and bear a part of the responsibility in the formulation

of the national project through practical work with the masses; for this we will not overlook the role of these pioneers and their right to show their role as individuals and groups, but we will resort to provide more tangible historical facts more than focusing on their analysis or views about the past, this is not intended to deny their views as much as it aims to highlight their achievements which constitute a significant effort and has a great impact on new generations more than all the theories, frameworks and training, which merely provided models and focused on the more theoretical than practical, more elite than public.

Concept of Voluntary work

If the definition of voluntary work is revolving around making voluntary effort without being forced by others, without being paid from others, we have also to mention that the goal behind this effort while it's not profitable, here the difference is clear between voluntarism and compulsive work from one side and between individual voluntary work and public voluntary work from the other side.

Where there is compulsive work by force this doesn't equal voluntary work, this considered as using others by force whether it's political, social or cultural force, this against the will of human being to choose the social act as it is stemmed by the need or the will to do so or both together, meanwhile voluntary work comes only like a choice, no force should be applied, here it becomes meaningful free social act, contains noble values of giving and sacrifice, being attached to an idea and a cause, and so with its positive spirit and noble values has similar level of patriot dying for his cause, same content but different shapes.

Voluntary work if it is individual by choice and execution will stay for elites, limited to a special ideology might meet with society values, but eventually won't make the same social impact the popular voluntary work does to serve a general goal, this case not only voluntary work causes social development and raising the positive spirit of the masses but also opens the eyes of the masses for their strength to change to make that changing step in their lives.

The United Nation Voluntary program is making effort to make a definition of voluntary work, considering it as: Humanitarian effort from individuals of the society in form of individual work or team work, and mainly it depend on human will and self-motivation, and the volunteer does not seek any financial gain or any kind of benefit, but only to feel devoted to his society, to bear some responsibility toward it, to participate in applying people needs to support one of the causes that his society have.[1]

Perhaps this definition meets with societies has a normal aspects of life, it is not wrong but also it is general, this generality make it need some specifying in a society that

1 [1] United Nation Volunteers status report "volunteering in the world" issued in 2011

suffer from harmful occupation Thus every social work should be measured by how much it contributes with the liberation movement of society, and as much as it creates an act of social impact that helps.

Here, we have to indicate a clear definition of voluntary work within a special historical stage like the Palestinian people lives in, which is a stage of armed occupation targets a the existence the economy and the culture of Palestinians, which leads to that every Palestinian individual's life, memory and future is a target to this occupational policies, each individual is exposed to occupation's oppression which legalized the resistance to defense one selves, whether this self was individual or of the masses.

" People volunteer with no charge in any form, here is the first point, and considering the voluntary work form of resistance including the rejection of occupation and an expression of steadfastness on our homeland, the idea that was deliberated between volunteers groups that now there is hope and we want to make changes, to reflect the strength of steadfastness and resistance, what happened is transient and will pass someday. Here we focus that the voluntary work idea was linked to a greater cause which is the resistance and steadfastness in our homeland and not accepting defeat " [2]

Though that we can use the general definition but we have to also define the forms of voluntary work, which can be summarized by the following:

1. Volunteering of one to help another, which is common but not considered as a voluntary act as much as a duty to serve the other, the parents for example, or it can be temporary act for one time, though it has a very noble values indicates loyalty to the cause of voluntarism.
2. Volunteering of one to a group: which is very common, a lot of people make effort to support a group of people who needs them, like the social worker volunteering for elderly, or doctors to people with specific illness... etc, this is volunteering but it's also limited with individual effort and values that the volunteer has.
3. Volunteering of a group to support an individual or a family, this has very wide range in Palestinian society, especially with land exile and land overtaken and homes demolitions where a group of youth rise to support these victims and affected families.
4. Volunteering of a group to support another group which is the mostly common act of voluntarism in Palestinian

2 Interview with Zakaria Nahhas

society, full of general social values express mass feelings, this theme can hold two faces, first: a group provide support to another within the same village or city, locally. The other face is when a group provide support to another general group, considering this act as a support to general cause, here we can say that the main pillar of voluntary work which spread after the invasion west bank and Gaza strip was this kind of voluntary work with same base established and developed to form a socio political phenomena during the seventies and the eighties of the last century.

After this indication of the concept of voluntary work and its types, we must also mention that voluntary work developed from spontaneous act to an institutional organized act here we won't deal with the charity work which is already organized, but we will focus on masses voluntary work which is connected to the Palestinian national cause, through which it can be as an awareness filler Against the Israeli occupation policies.

Volunteering as an original part of the components of Palestinian popular culture

Before the Zionist project razed the Palestinian society and stripped it from its means of production whom their lives depend on to live and work, Palestine was a rural agrarian society, where three quarters of the social component of the human population identification is rural. Agriculture in Palestine was not based on waged labor as in the form of agricultural capitalism; it was essentially based on family business in the range of properties of small and medium land areas. And even in the feudal and large property in the plains, it was not common as waged labor, but it was more like quota system Thus the common agricultural work pattern in Palestine is family business till this day, and this situation did not force the family to look for worker in particular seasons but it compensate the seasonal work by " society aid " where society aid formed a social enterprise aimed to fill the gap in workforces without the need for monetary compensation for work effort from others.

Society aid in the Palestinian social history was consistent with the style of the patriarchal family structure of Palestinian society, whenever a work force is needed, families used to resort to the society aid from relatives and friends who volunteers to help them in completing the work needed, it usually happens in the seasonal harvest and building homes, this initiate a pattern of cooperation that benefits everyone.

" Voluntary work is not new work, in the Palestinian heritage and history the concept of society aid was familiar in olive season harvest, pouring concrete in home building, in any individual or collective work you find that society aid and help has always been available, all the country youth operate with each and every one, this results with completing the work and creates a sense of solidarity among people from this point the idea of voluntary work has emerged " [3]

Aspects of society aid is not limited to cooperation between families to fill their needs but it was extended to general aspects that benefits the whole village such as making canals and basins for the springs to ease access of water, Building family houses, digging wells, building mosques, opening roads and other kinds of public beneficial work which all families of the village cooperate to provide a particular service to all residents of the village.

Here the society aid is different than forced labor, which was imposed by the Ottomans sometimes to villagers which were

3 Interview with Ghassan Jarrar

usually to facilitate the work of the governors and Turks rulers in the country, Society aid stems from the free choices of the people and for self-serving, while forced labor was without any direct benefit, if not directed against him personally.

" Volunteering in Palestine was a way to face poverty that was passing by the area, especially in the era of Ottomans and was called " society aid ", and it was a practical act of cooperation between people to face poverty which was linked to agricultural seasons in the harvest season of olive oil for example. And also before the forties there was no use of cement in building so they have to make their own replacement from stones known locally as Ballton and Kabara, this process takes months to prepare cement replacement and need huge assistant in working hands and mud cements amounts, And this is voluntary work helping people with their harvest and home building and thus voluntary work holds a very noble social value between people " [4]

After the major catastrophe Al-Nakbah in 1948, the concept of society aid transformed to a complex identification of aid and help, the displacement of hundreds of thousands of Palestinian people outside their home country this made the hosting people provide them with some assistance, while the refugee developed self-coping mechanism with the new reality through cooperation among themselves, this mechanism need to be studied and documented, it haven't been addressed so far.

However the concept of " society aid " began to fade with increasing the commodification of the village and the disintegration of the extended families in Palestine, and the capitalized society reaching a state of modernity based on distorted structure resulting from the effects of Al-Nakbah on the economic political and social scene, Resorting to society aid has not stopped completely, but also is no longer the prevailing phenomenon to compensate the shortfall in the labor force, and that resulted from the spreading of waged labor and its values and relations with community.

" In our life as refugees in the camps, we conducted voluntary work without the existence of the clear concept for it, camps conditions in the sixties was difficult: no streets, no water, no electricity, and if we took winter in camps as example: it was disastrous because houses were made of metal sheets, streets full of mud, floods were raiding homes of refugees, we used to wear boots and open channels for rainwater to track away from homes as possible " [5]

4 Interview with Muharram barghouthi

5 Interview with Salim bast

Volunteering as a mean of framing the masses

With the completion of the occupation of the rest of Palestine in 1967, a new reality has grown, countries that have ruled what is left of Palestine between 1948-1967 is no longer governed by, while the Palestinian resistance movement arose and took two types: the first is based on armed militant groups that operate secretly and it was the most prominent, the second was a case of institutional political resistance against the occupation policies. The occupation suppressed both sides using prosecution, murdering and arresting those who they can catch from resisters, followed by administrative detention and deportation of national figures and leaders of existing institutions in West Bank, Gaza and Jerusalem trying to let people rely on traditional structure in the management of people's lives.

Though the policies of occupation were aimed to continuing control over what have been occupied has failed to curb the armed or the political resistant action. These policies have maintained the pace of Palestinian resistant which varied with facets, it was stronger sometimes and it faded in other periods, but occupation did not succeed in emptying the occupied territory of citizens and was not able to tame them as a receptive to the occupation, the Palestinian national movement has worked on creating a mechanism for resistance based on masses and can be a source of concern for the occupation on one hand and a factor in framing the society to develop a national identity in line with the advancement of the national state, which represented by the Palestinian Liberation Organization on the other hand.

" the thing that has changed my life the most was the war of 67, I was then a teacher at BirZeit University, we developed something in 71, we formed a club in the YWCA in Jerusalem called Al-Ghad (tomorrow), we were about 15 person with various backgrounds, but found that our meetings do not lead to important work, so we suggested to initiate with voluntary work, we went to Ramallah Municipality – Kareem Khalaf was the president and to Al-Bireh Municipality – Abdul Jawad Saleh was the president, and we told them we want to do something to serve the two cities on Fridays and Sundays, the first activity we had was in Public Libraries of Ramallah and Al-Bireh, we went to libraries to help students with theirs exams, and after exams we started to work in the cities, one of our first activities was cleaning the vegetable market in Al-Bireh and Dr. Abdul Jawad Saleh was with us in the field, and some

students and youth from villages and refugee camps began to attend the meetings a week in Ramallah and another in Al-Bireh, there is institutionalization in our work nor any budget, we used to meet every Thursday to plan work for Friday, for example: paving the road in Al Jalazoun Camp, building a fence for Kufur Neameh school …etc. we used to gather and move on Fridays if the place was near we go there walking if no we took a bus. This was the beginning at the end of 1971, then later young school students take the initiative to make voluntary work then it spreads in the west bank schools. In the 1973 the occupation began to prevent us from some work, I was afraid at the beginning but then thought that it will be a good opportunity to introduce voluntary work to college student at Birzeit, I submitted a letter to Dr. Hanna Naser president of the university at that time before he was exiled, and suggested that there should be credit hours for voluntary work as a requirement for graduation, and Dr. Naser approved it and became since then known as cooperative work " [6]

Sonia Nimer says: " The movement of voluntary work originally stemmed from the movement which was present already there, which took more than one form, social and cultural, such as the launch of theatrical movement, the revival of 0heritage, all forms of resistance, from here came the idea of voluntary work, which began from the introduction of students and community to the social movement, and this has had political aspects " [7]

The voluntary work movement has not stayed none institutionalized in Palestine, the seed of institutionalizing starts when Birzeit University adopted the voluntary work hours as requirement for graduation, but it exceeded beyond that spreading the idea and forming a practical model from the student's voluntary work and activities.

" After 1972, nuclei of voluntary work formed in some of the villages, newspapers published news about it, the idea began to spread, young people in number of villages constituted volunteer committees and name it with their own initiative. In the end of 70s the Palestinian Red Crescent Society building was burned in Gaza, and against which a Volunteer committee was formed to restoration and renovation of the Red Crescent in Gaza Strip, the voluntary work committees was launched to work in Gaza Strip and in the year 1980, we took initiative to contact around 30 to 40 voluntary work committee deployed in West bank and Gaza strip, and had our meeting at Birzeit university (the old campus), where it has voluntary work committee

6 Interview with Munir Fasheh

7 Interview with Sonia Nimer

in its student council, 37 various committees attended the meeting, this meeting came out with the need for formation of a coordination committee between all the committees of voluntary work, called Supreme committee for voluntary work in West bank and Gaza strip, and it's a central committee for all committees, but in every area there was a committee and its elected representative in the supreme committee, in 15/8/1980 the first elections for the supreme voluntary work committee and I was the first official president "[8]

The rise of PLO and the Arab international recognition of it as the sole legitimate representative of the Palestinian people wherever they are located, this played a major role in the expansion of public activism in occupied Palestine territories. After the occupation scatter the leaders of the national fronts among exile and arrest, the national steering committee was formed, including elected mayors and unions leaders they were able to strengthen the national case/state, relying on the strength of young university students and secondary schools students, youth clubs and local youth committees titled as voluntary work committees, but the political competition between Palestinian political forces to win the masses made each force to from a private voluntary organization at central and local level, these committees were the main from of organizing the mass outside institutions, especially in rural areas and refugee camps that has a lack of public institutions and these committees became the representative of mass resistance against the occupation, whether it's direct voluntary work or national popular work in response to the occupation and settler attacks by throwing stones and Molotov over their cars.

" In the middle of 70[s] the stage of threating to confiscate land has increased heavily and therefore cultivating and planting land was part of the protection process so the political forces became aware of this and started the competition to form activities of their own to make followers even if they are not members " [9]

Following to the linkage between voluntary work and resistant national role, the occupation alerted to the seriousness of this phenomenon and began to chase it, whether to pursue volunteers in the field or by setting barriers to prevent them from reaching their goals. Then the precautionary arrest, especially before the national events such as Earth Day and others, and so the occupation authorities opened Al- Fara'a

8 Interview with Muharram barghouthi

9 Interview with Ghassan Jarrar

prison to threaten the young volunteers, however it turned into a castle to raise these young people on the basis of patriotism, the prison was closed after Oslo agreement and then Israeli forces withdrawal from the region and the building was turned into a youth center supervised by the Palestinian Ministry of Youth and Sports.

Palestine lives a special state due to Israeli occupation and its way of using all kinds of oppressions and frightening against the Palestinian people, this had a direct impact in rising the contribution of women and empower them and getting them out of the traditional typical method of living such as parenting housekeeping to involving in the Palestinian society in all aspect of life,

This kind of transformation was not a revolution against common ideology or tradition as much as it was national contribution to face the Israeli occupation and its policies, Palestinian women considered these kind of acts against every Palestinian is a challenge to her to enhance the Palestinian national identity, so she became the girl, the mother, the teacher and the fighter who's been arrested for months and years in the Zionist occupation prisons.

" I felt it like this was part of my national agenda, part of or national project, part of gathering people around a special idea (the national work). I think those who cleans' the roads in his town feels proud and this encourages other to do the same in one way or other, everything we do is a comprehensive act within a national work project to deepen the loyal work to home land and people " [10]

This contribute in rising the awareness of the great role that women plays in protecting the basic rights of Palestinian people, where the male society realized the important of integrating the women role with men role to conserve the Palestinian national identity, and then Palestinian women participated in field work, organizing and participating in several voluntary or national acts that men do, women had an effective participation in reclamation of threatened land by confiscation, and in planning for demonstrations against occupation, protecting young men from being arrested by Israeli soldiers.

" Here was women role very obvious, I remember that they used to bring us stones in a bucket, in heat lines so that young guys can find stones to throw, some women and I saw them -

10 Interview with Rabiha Diab

and I wish we had a filming devices then – and old women was breaking and fragmentation stones to smaller parts, they did good ! Occupation used to punish women like men, I entered the camp more than once to see women being tortured by Israeli army, and do you know what it means? it means that they have to keep their arms up on the wall because the Israeli soldiers caught them helping young men with stones, some women when Israeli soldiers arrest a guy they attack the soldiers to free him, I saw one trying to free her nephew she attacked the soldier from behind by her pair hands so he dropped down and freed the guy, my sister has been shot while trying to free a small kid, the soldier frighten her by shooting and she said to him: shoot! I don't think she thought him criminal but he did, thank god she turned her face, the bullet injured her finger. Women played a big role, they used to participate in everything, holding leaflets and flyers, my mother was eighty years old, when I call her she knew that I will give her flyers, she put them under her belt and tied them carefully, many times we used to cross check points and Israeli soldier inspect the car but they never thought that an old lady will be holding this amount of flyers "[11]

Palestinian women completed their role in the voluntary and national work march, she created a role model to be followed, and this kind of model has frightened the Israeli occupation which targeted her as he targeted Palestinian men.

" I remember the first activity we participated in was in AL-Ama'ry refugee camp school, this activity needed hard work, so when we planned to participate young men started to make fun of us, could these girls do this ?! here was our challenge, how to transform the women role from being limited in raising kids and housekeeping to a general social role, and when you want to be a role model you have to stress yourself to achieve this hard work, to give chance to other girls to participate, and so we did, young men were surprised with our spirit and insistence, this what gave us strength to continue, then we contact schools and universities to participate and here is number of young girl participating has increased " [12]

11 Interview with Khalid Mansour

12 Interview with Siham barghouthi

The Public Stand on Volunteerism

despite the fact that voluntary work has its roots in popular traditions this did not let it avoid dominant cultural criticism in society, and since the beginning of volunteerism was with individuals who has a socially liberal mostly leftist ideology, and since its nature was not male dominant also, it clashed between two cultures and was harmonic with the third; It clashed with traditional popular culture that was dominant in the countryside more so than the cities and refugee camps, due to the lack of segregation amongst males and females. But the results of volunteerism and the spontaneous national position taken by the people, the social acceptance defeated the phenomena and volunteerism was able to overcome the obstacle of traditions, due to the respect the volunteers had towards social values and focusing on achievements, where they suffered accusations by religious groups that saw in it one wrong element " The taboo congregation of both sexes ", and used the mosques to attack volunteers, for all that lay in their minds that those whom sponsor this work are pornographic communists, however, the isolation of these groups and their lack of participation in the national movement until the eruption of the intifada - also their dislike for the nationalist powers - weakened their logic and position, and were not able to gain the masses to their side. This is considered a social and cultural gain to the concept of volunteerism and strength.

Aside that, the social sectors have shown their support to volunteerism through offering simple donations that were used to serve the work such as the purchasing of tools, and construction materials, as well as some machines etc. Where that not only lessens the costs of volunteerism but also created supporters within society.

" We used to clash especially in rural areas with people who criticize our work on the basis that involves men and women, or boys and girls, and we would enter discussions with them and explain to them our conviction that a woman can help a man, and that the relationship between us is respectful and that there is no offense to social values, and over the course of years we worked with volunteers and there was never an event recorded on the performance of the volunteers or any note of ethical and moral nature based on the relationship between man and woman. We used to speak honestly, we were not monitors on anyone, and however we put the responsibility on everyone. There were accusations at us from outside, for example: in the villages some who did not like our work came out with accusations and the answer to them were from others not us, "we went to see them and helped them, and we

saw them doing nothing wrong". In the village of Kufr Malik, some people were provoked, one time a mosque preacher came and began to attack us, he was not from the village itself. What relieved us is that the village's people asked him to stop his sermon and not return to preach in any mosque, they told him that they saw the volunteers and dealt with them and saw their work and what they did for the land was more than what you gave " [13]

13 Interview with Zakaria Nahhas

Voluntary work and its response to the "Linkage of the Villages" Project

" Promoting the Culture of Resistor Popular Economy "

The Israeli occupation invasion of Lebanon in 1982 had its consequences, the Palestinian Liberation Organization PLO went out from Beirut, this invasion was planned a year before its execution; in order to weaken the PLO and creating an alternative in Palestine after the stumble of Camp David negotiations conducted in 1978/1979 under the leadership of Egyptian President Anwar Sadat, who refused to rejoin Gaza Strip to Egypt.

Then Ariel Sharon had the idea of establishing the Linkage of villages, who was at that time the minister of war in the government of Menachem Begin, who in turn mandated Menachem Milson (Head of the so called Civil Administration) the task of forming these linkages in the occupied territories in 1967, in preparation for granting of autonomy to the Palestinians according to contents of the Camp David agreement.

In the year of 1982 the linkages of villages was formed under the chairmanship of Mustafa Doudin who was chosen to hid acceptance to autonomy of the Palestinian which was proposed by Begin following to Camp David agreement contents, these linkages began to work on providing services to the Palestinian people under the name of " Rural development and reviving economy " taking advantages of the political instability and the difficult economic conditions that Palestine was plaguing.

The voluntary work committees which was formed of various Palestinian organizations (Palestinian Communist Party " Palestinian Peoples Party now called ", Popular Front for the Liberation of Palestine, Democratic Front for the Liberation of Palestine and The Palestinian National Liberation Movement " Fateh ") became aware of the goal and purpose of forming these linkages, they started their first tasks as raising the community awareness and education about the truth of these linkages, organizing central events for promotion of the culture of resistor popular economy between Palestinian people to protect the national project, and soon these tasks and events results appear in foiling the scheme of Israeli occupation objective by legalization of these links as alternative to PLO; the legitimate representative of the Palestinian people.

" Voluntary work committees has played an important role

in resisting these linkages, in clarification for the misguided people; that these linkages only wants to provide services within the political framework in order to replace the PLO, thus in 19/6/1982 Mr. Daoud Al-Attawneh the chairman of the voluntary work committee in Beit Kahel was assassinated by the armed militia of Villages Linkages, Al-Attawneh was active in the resistance of these linkages, revealing their truth to people, and we in Ramallah area made large number of festivals to raise the awareness of these linkages such as in Beit Ur, Beit Sira and other villages, we built mosques, schools, roads and streets, festival against the Villages Linkage, this was supported by some patriot people, such as in Beit Ur there was a need to make roads inside the village then Mr. Karim Khalaf Mayor of Ramallah Municipality donated with the materials and equipment needed for this project, and many festivals made to raise the awareness and therefore many people knew the truth about the linkages and denounced it " [14]

Ghassan Jarrar says: " there was no electricity in Aboud village in that time, the local council has a project for extension of electricity to the village, the villages linkage offered to fund and complete the project, that day who confronted this suggestion? A voluntary work committee made up of 17 person , this committee made a feasibility study for the project, founded that the project cost for only implementing electricity poles 8500 Jordanian Dinar at that time, the poles exists, but we want to implement them, we went to the local council and asked them to define the points where to put these poles and we will plant it, and also went to the union of workers of the electricity company who provided us with experts and cooperate with us voluntarily, we were around 200 volunteer so we started digging, moved the poles from the school yard at the beginning of the village to the digging sites on our shoulders, we had technicians from the union who guided us how to extend power cables, we set the poles, it was almost 5 pm when we finished, all the villagers were out of town because of the olive harvest season, they returned and found the whole village with standing lightning poles (almost 120 pole), and the same activity was repeated also in Rantees village, this is an example of the central voluntary activities and similar activities were held in many villages too " [15]

14 Interview with Muharram barghouthi

15 Interview with Ghassan Jarrar

Volunteerism and the first Intifada

The great popular uprising was nothing but an expression on the state of popular fermentation at its peak, whether against the occupation's constant oppression in the occupied territories, or the fermentation of political awareness within the masses. That then evolved into an organized popular state, which was expressed in the organized student movement in the universities and higher educational institutes, as well as a volunteerism movement with the different and competitive political attitudes was organized and ready to give. And with the sparking of the Intifada the volunteer committees did not change their roles, however, they added new important roles such as full integration into the activities of the Intifada. This integration has turned the volunteerism movement from a simple service provider into an active part in the national struggle for freedom. Here the committees were integrated into the popular committees, the neighborhood watches and strike groups, as well as other new groups, which changed its infrastructure and turned it into a part of the national struggle which faced arrest, persecution, and exile. This made it retract as a body with a specific goal. Its role became tied to the activities of the Intifada such as night watching the entrances of villages and camps, or helping to rebuild the homes of activists and fighters that were torn down by the forces of the occupation, or monitoring the flow of the boycott on Israeli goods, or working on self-sufficient productive local projects.

In those times the higher education institutes were closed, from universities and higher education institutes, and volunteerism had fallen back from these organizations, and this defection was affecting volunteerism with the Intifada falling especially with the First Gulf War in 1991, and the beginning of the negotiations that followed the Madrid conference. Where the popular forces began to expand into professional organizations that receive foreign aid and volunteerism began to fall back and instead were replaced by civil society organization activities. Until the arrival of Oslo and the end of the experiment due to its follow ups that created the Palestinian Authority with its various divisions and departments, and the expansion and increase of Civil Society Organizations, as well as the private sector made an entrance into the field.

This role fell back in the universities and volunteerism became a show or simply a routine in order to end the prerequisites to graduate, while people began to ask the fledgling Palestinian Authority to solve their problems that volunteerism used to solve, or they found the activities of civil society organizations

a form of volunteerism which distorted the idea and special values of this work.

" If we wanted to document the fall of volunteerism , we can say it began with the entrance of elitism in a broader sense as well as recruitments, at that time the donor organizations did not exist, and we did not go anywhere except to the local community. After we suddenly had a replacement to receive support, the difference came, the case of the differences were in designating a specific budget to work on different ways to spend it, such as employment. This was the fundamental factor that vandalized any nationalist work, in my opinion, when the donor countries came in from Europe and the USA, they as donors supported the ideas that fell in with their own ideas and politics in the region. After that the Volunteerism that was there began to take a different angle such as founding health and agricultural organizations … etc. Most of the voluntary committees unfortunately took millions of dollars and the examples are clear to people. These organizations used to serve the people through volunteerism and relied on what the people gave them, now they have millions of dollars, stock in many companies, at the same time the staff that were in them belong to an upper class, even the remains of organizations that were founded in the name of volunteerism became capitalist, and their capabilities are much greater, though, they no longer serve the concept of volunteerism " [16]

Tayseer Arori speaking about the same issue says: " the enemies of the Palestinian people due to the people uprising-intifada - and its strong structure realized the strength of the mass / public organizations that were the products of the voluntary work, this drew the attention of the enemies, and these has a great experience in corrupting communities and its institutions by funding , based upon this experience in my opinion I think there was a possibility to be spoiled by money , in two directions: funding for PLO which created many problems and contradictions, the most serious and dangerous was that these mass organizations had foreign fund and transformed to the so called NGO's and the most accurate terminology is the term used by revolutionaries in Latin America " the corrupted organizations " which is one of the main tools that were used by global capitalism at the new-liberalism stage " [17]

16 Interview with Kamil Jbeil
17 Interview with Tayseer Arori

Voluntary work and community work

Some sees in the community work a voluntary part, and it is, only if it has a based reference to voluntary work definition, if the community work transforms from technocrats to a social movement to achieve specific requests, which means there are three connected circle the civic society should have; existence of political effective seine with clear structure to affect and change, existence of a non-governmental organization that forms homes to experiences and information and having also a social movements with specific demands in specific field, here the integration of human act with knowledge and organizing meets and produces affective changes in society.

Till now we can't find this kind of linkage in Palestinian work, we are on separated island of Civil society organization in the absence of political parties of society issues, and the absence of political parties and forces in the community issues, we also blundered in building social movements are unable to have a popular extension, popular resistance forms in Bil'in, Ni'lin, Nabi Saleh and Al-Masara and in other villages still unable to become a state of comprehensive geographically and humanly voluntary work, this happens due to the lack of seriousness of political parties dealing with this phenomenon and using it to create a real collective consciousness about the popular resistance to become a spontaneous behavior among people.

We are now in front of a distorted picture of the voluntary work that doesn't base on mass force, nor specific targets, we are now in front of funded projects using the people efforts without having any comprehensive social return, this requires a search for ways to get out of this case, the negative responder for funded projects and restore the people initiative, yes it is a difficult task but it worth.

And so we don’t be like evaluating the experience from apart. we must view the efforts made in the beginning of the experiment and fought vividly, what they say is a history testimony, and a documentation of a great public effort, has been buried in this political time, which accepted the available reality and did not challenge with real well to maintain and accumulate and accomplish what has been achieved in that period.